

مريم المجدلية

تأليف:

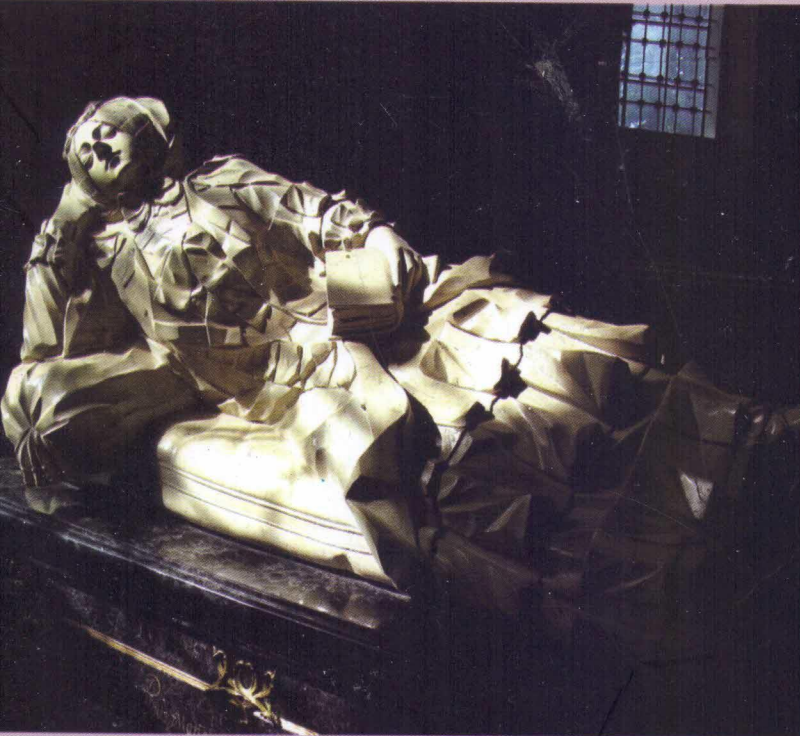
موريس ميتيرلينك

ترجمة وتقديم:

مصطفى كامل خليفة

مراجعة:

منى صفوت



2229

روائع الدراما العالمية





مريم المجدلية

تأليف

موريس ميتيرلينك

ترجمة وتقديم

مصطفى كامل خليفة

"مريم المجدلية" المرأة المخطئة التي تابت بعد أن رأت الناصري، أى يسوع المسيح، وسمعت حديثه الحلو الذى تغفل فى أعماقها وشرح صدرها للهدى، بعد أن كانت تشعر بأنها تائهة تبحث عن نفسها. كان ذلك فى عهد الحاكم الرومانى "يولاطس البنطى"، الذى كان يضطهد اليهود والمسيحيين الذين آمنوا بالمسيح، والذين كان يُطلق عليهم اسم جماعة الناصري؛ وبطبيعة الحال كانت المجدلية من بينهم. وقد تناول ميتيرلينك هذه الأحداث بعقريّة فريدة من نوعها، وصور أدبية وفلسفية رائعة، ومشاهد مأساوية - على الرغم من هولها - إلا أن أجمل ما فيها أنها تظل عالقة بخيال المشاهد لزمان طويل بعد رؤيتها.

مريم الجدلية

(مسرحية)

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة: أحمد سخسوخ

- العدد: 2229
- مريم المجذلية
- موريس ميتيرلينك
- مصطفى كامل خليفة
- منى صفوت
- اللغة: الفرنسية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة مسرحية:
Marie Magdeleine
Pièce en trios Actes
Par: Maurice Maeterlinck

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مريم الجدلية

مسرحية

تأليف: موريس ميتيرلينك
ترجمة: مصطفى كامل خليفة
مراجعة: منى صفوت



2015

لينك، موريس ميتين.
مريم المجدلية: (مسرحية) / موريس ميتين
لينك: ترجمة وتقديم: مصطفى كامل خليفة:
مراجعة: منى صفوت. - القاهرة: المركز القومي
للترجمة، ٢٠١٥.
١٢٠ ص: ٢٤ سم.

تدمك ٨ ٠١٣٦ ٩٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المسرحيات البلجيكية.
أ - خليفة، مصطفى كامل. (مترجم ومقدم)
ب - صفوت، منى. (مراجع)
ج - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٥ / ٤٧٢٠

I. S. B. N 978 - 977- 92 - 0136 - 8

ديوى ٨٣٩، ٣١٢

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي، وتعريفه بها. والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

7 تقديم
19 مقدمة
21 الشخصيات
23 الفصل الأول
53 الفصل الثاني
77 الفصل الثالث
113 المؤلف فى سطور
117 المترجم فى سطور
119 المراجعة فى سطور

تقديم

فى البداية، حرى بنا قبل الاسترسال فى قصة مريم المجدلية، أن نوضح أنه كان يوجد أربع سيدات باسم "مريم"، بخلاف ستنا مريم العذراء، أم المسيح (عليه السلام) التى عاشت فى بلدة الناصرة، حيث بشرها الملاك جبريل بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم.

وقد كرمها المسيحيون بإقامة الكنائس فى جميع الأقطار، وتنافس الفنانون فى إبداع أيقوناتها، والمسلمون يحفونها بالإجلال والتوقير ويدعونها "ستنا مريم"، أما الأخريات فهن:

- ١- مريم سالومى: زوجة زبيدى وأم الرسولين يعقوب ويوحنا.
- ٢ - مريم كلوبا: شقيقة مريم العذراء ووقفت معها على الجلجثة أو الجمجمة، وهى القمة التى - وفقا - إلى الإنجيل - صُلب عليها المسيح (عليه السلام) (إنجيل متى، ٢٧. ٢٣ - ٢٥، إنجيل يوحنا، ١٩. ١٧ - ١٨) ..
- ٣ - مريم المجدلية: من بلدة مجدل، خاطئة وتابت، وتبعت يسوع، ووقفت مع أمه أسفل الصليب، وكانت تقيم فى قرية بيت عنيا، وهى موضوع هذه المسرحية.
- ٤ - مريم المصرية: ناسكة، كانت خاطئة وتابت، وعاشت فى الزهد فى الصحراء لمدة أربعين عاما.

نبذة عن الزمان والمكان؛ حيث كانت تعيش مريم المجدلية:

هى أصلا من بلدة مجدل فى فلسطين جنوب أورشليم القدس، والتي استولى عليها اليهود عنوة بعد نزوح العرب عنها إلى غزة، وكان الحاكم الرومانى لليهود فى ذلك الوقت بيلاطس البنطى، يضطهدهم، وكان الرومان بصفة عامة لا يؤمنون بشريعة موسى - عليه السلام، ولا يزالون يعتقدون فى تعدد الآلهة والميتولوجية الإغريقية.

فى هذا الوقت ظهرت دعوة المسيح (عليه السلام) وكان يعرف باسم الناصرى أو الجليلى نسبة إلى بلدة الناصرة، والجليل، كذلك كان يعرف بصفة المعلم والمنقذ، وقد آمن به كثير من اليهود بعد أن رأوا معجزاته، ومن بينهم مريم المجدلية، وكانت كلماته الشهيرة: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر" هى السبب فى إنقاذها من بين برائن الفوغاء الذين كانوا يريدون أن يفتكوا بها عندما أرادت أن تقف معهم لتستمع إلى حديث الناصرى الذى أعجبها وأثر فيها وتغلغل إلى أعماقها، وهى الغانية الخاطئة، ومن هنا كانت بداية نزوعها إلى التوبة، وكانت هذه العبارة هى محور المسزحية.

كان اليهود الذين لم يؤمنوا بعبسى (عليه السلام)، يضطهدون هؤلاء الذين آمنوا به، يحتقرونهم لأنهم كانوا بسطاء وفقراء ومساكين، ومنهم المرضى، والعجزة والمتسولون والمعوقون، حتى إنهم كانوا يحيكون ضدهم المؤامرات والدسائس، كذلك ضد الناصرى، ويؤلبوا عليه الحاكم الرومانى وكبير الكهنة، وينكرون عليه معجزاته.

ونتوه إلى أنه بطبيعة الحال لم تكن الرسالة المحمدية قد نزلت بعد.

يمكن تقسيم حياة مريم المجدلية إلى ثلاث مراحل:

١ - ما قبل التوبة.

٢ - التوبة.

٢ - ما بعد التوبة.

١ - ما قبل التوبة:

إن مريم المجدلية لم تكن بارعة الجمال فحسب، بل كانت أيضا تتمتع بإرادة قوية، كما أنها كانت على درجة كبيرة من الثراء، تحيا حياة الأميرات فى رفاهية وبذخ، إذ تقيم فى قصر فخم، به الكثير من العبيد والخدم والحشم، مؤثث بالأثاث الفاخر، وترتدى أفخر أنواع الثياب المرصعة بالجواهر، واللآلئ والأحجار الكريمة، وعلى معرفة وثيقة ببعض الضباط الرومان، على سبيل المثال: الضابط فيروس، ومن جيرانها الحكيم سيلاتوس الذى استقبلها فى قصره مع أصدقائه من بينهم فيروس، وأبيوس وغيرهما. ولم تكن قابلت فيروس منذ فترة طويلة.

كان فيروس يمثل لها سندا كبيرا، فهي كانت تعبر عن حالتها بأنها كانت تائهة، لا تعرف حقيقة نفسها، ولكنها مع فيروس استطاعت أن تكتشف نفسها، إذ كانت تبحث عن الاطمئنان والسعادة، وقد أذرفت كثيرا من الدمع لتعثر عليهما، وهى القوية التى لم تذرف دمعة واحدة من قبل، فى أحلك حالاتها ضيقا وشدة.

كانت فى وقت الشدة تلجأ إلى فيروس، فهو بالنسبة لها يمثل حصن الأمان لأنها تعتقد أنه الوحيد الذى يمكنه أن يحميها ويشعرها بالإطمئنان.

على الرغم من أنها لم تكن قد تابت بعد، فإنها كانت على يقين بأن لها أجلا مكتوبا، وأنها ستموت، ودليل ذلك، كانت تتحدث مع فيروس عن مزهريتين سرقتا من عندها، وكانت تحتفظ فيهما بسنابل عطر الناردين الهندى الغالى الثمين، ليحاط به جسدها وباللفائف الجنائزية عندما توافيها منيتها.

كانت فى أعماق نفسها تشعر بالمهانة، وتصف نفسها بأنها كانت تعيش فى أكاذيب يستفيد منها الآخرون"، وأنها لكى تشعر بأن لها قيمة كبيرة، فقد قررت أن تبيع نفسها "بمهارة أكثر، وأعلى مما سبق".

أما فيروس، فكان يواسيها دائما، ويشعرها بقيمتها، يقول لها: "أنت دائما تقدرين نفسك أقل مما أقدرك أنا"، وتحاولين دائما "أن تحطى من قدرك فى نظرى، ولن تتوصلى إلى ذلك أبدا"، وهو لا يرى فيما تقوله هى "إلا ثورة شرعية لنفس جريحة فى أعماقها، تتماسك فى وجه الألم"، ولكنها كانت تشعر بأنها ليست نفسا متماسكة، "بل هى نفس وجدت نفسها".

وكان لسيلانوس جار يدعى "سمعان الأبرص" وكان يستضيف عنده الناصرى، وكانت جماعة الناصرى التى أحبته وأحبها، لإيمانها به وبمعجزاته، معظم أفرادها من المرضى وذوى العاهات، وذات مرة، كانت هذه الجماعة تحيط بالناصرى خارج منزل سمعان، فى حديقة منزله، وكانت هذه الحالة أول ما ظهرت، كانت فى قرية بيت عنيا، وكان هذا المنزل يجاور قصر سيلانوس، حيث يوجد فيروس وأبيوس وقيلبيوس ومريم المجدلية، وقد دفعهم فضولهم إلى أن يستمعوا إلى ما يقوله الناصرى، وكانت المجدلية أشدهم رغبة فى رؤيته والاستماع إلى ما يقول.

بدأ يتحدث إليهم، جذبهم جميعا بصوته الذى لا مثيل له، صوت فيه قوة وحلاوة، فيه نشوة وطلاوة، فيه شوق وفيه نور وحب، بعيد ولكنه قريب من القلوب، ومائل فى أعماق كل النفوس.

كان هذا الصوت هو الذى جذب مريم المجدلية وشد انتباهها، اشتاقت إلى أن ترى صاحبه، وكانت مندفعة نحوه، مشدودة إليه بلا مقاومة، متجهة إلى نهاية الحديقة، لتراه وتسمعه عن قرب، مصرة على الذهاب إليه على الرغم من معارضة الآخرين خوفا عليها من هذا الحشد الهائل الذى يحيط به.

عندما شاهدوها، ارتفعت أصواتهم وهممتهم، وأطلقوا العنان لشتائمهم وسبابهم لها بألفاظ نابية، ونادوا بجرمها حتى الموت.

فجأة دوت صيحة هائلة بهذا الصوت العجيب، خيم الصمت على الجميع، وهدوء وذ هول هائلان وارتفع الصوت الرائع يقول: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر!..."، فما هي إلا لحظات حتى اختفى الحشد الهائل شيئاً فشيئاً. يتقدم فيروس ليسند المجдлиّة، فرفضت بشدة أى مساعدة منه أو من الآخرين وظلت تحرق ببصرها إلى الأمام غير مبالية بأى شيء، وترتقى درجات سلم الشرفة بصعوبة، وهم لا يفهمون ما حدث لها، وكان هذا الحدث مؤشراً لبداية توبتها.

ب - التوبة:

ثلاثة أيام مضت بعد هذه الواقعة، ومريم المجдлиّة وحيدة فى قصرها، خائفة، قلقة، تنتظر مجيء فيروس، وكانت فريسة لصراع نفسى تجهل مصدره، وتساءل نفسها عما إذا كان حقيقياً أن جمالها هو الذى لم يجلب عليها سوى الحسرات والنفور، وهل يمكن لهذا الجمال أن يحقق لها "السعادة التى هى من حق كل امرأة، بل من حق كل إنسان أن يتمناها فى الحياة"، وذلك ما صرحت به إلى فيروس عندما جاءها واستقبلته بشوق جارف ولهفة شديدة، وارتمت بين أحضانه، كما أنها شكت له عن أن غرورها لم يكن سوى التاج المشين لعارها! وبثت إليه بشكواها بأنها لم تكن تصبو إلى "سعادة مستحيلة".

تغيرت المجдлиّة دون أن تظن إلى ذلك، فصوتها وروحها ليسا كما كانا، ولاحظ فيروس هذا التغيير الذى اعترأها، وتقول له "أنا لم أعد تلك التى كانت، أنا لم أكن أعرف نفسى، لأننى عثرت عليها.... أنا التى لم تبك فى أشد الحالات سوءاً، اليوم أنتحب لأنى سأكون سعيدة..." وذلك دون أن تدرك بحق أن السبب

لقائها واستماعها إلى الناصري، وأنه هو الذى أنقذها من جماعته التى كادت أن تقتلك بها.

ولكن هناك شيء مجهول فى أعماقها، دفعها فى هذه الظروف إلى أن تسأل فيروس عن الناصري لأنها كانت تتوق إلى رؤيته وسماع صوته، وعلى الرغم من ذلك، طلبت من فيروس أن يسرعا بمغادرة هذا البلد؛ لأنها تريد أن تهرب من المجهول إلى مكان آخر تجد فيه السعادة الحقيقية.

ولكن المفاجأة الكبرى التى أدهشتها أشد دهشة، عندما علمت أن فيروس مكلف باعتقال الناصري وجماعته وأن كل ذلك سيتم أمامها، فعابت فيروس على ذلك، وطلبت منه ألا يكون الأداة التى تسلمه إلى ألد أعدائه، وهو الذى أنقذها من موت محقق، أنقذ حياة المرأة التى يحبها، لذلك يجب عليه أن يدين له بحياتها، علاوة على أنه برىء ولم يقترب أى جرم إلا أنه ينبئ عن سعادة لا تعرفها.

وبقولها عن نفسها أنها لم تره إلا للحظة واحدة بين أشجار الزيتون، فشعرت بأن البهجة قد استيقظت فى نفسها، كأنه نوع من النور قد استولى على فكرها، بالرغم من أنه لم يثبت نظره على عينيها سوى لحظة واحدة، وهذه تكفيها من أجل حياتها الباقية.

كنت على يقين أنه تعرف على، دون أن يرانى من قبل... كان يبدو لى أنه اختارنى بكل اهتمام وقوة إلى الأبد... هذه الإحساسات وهذه الاختلاجات تدل دلالة قاطعة على أن نور الهداية قد تغلغل إلى أعماقها، وأنه شرح صدرها للتوبة، فتحققت توبتها.

وتفاجأ المجدلية للمرة الثانية، بمراوغته ومحاولة تملصه من طلبها، وتخليه عنها لأنها رفضت عرضه بأن تكون له وحده، وأنه لو أنقذ الناصري، فسوف

يفقدها، وأنه سوف يحرمه من حبه وسعادته معها، وفي الوقت نفسه سيتعرض هو شخصيا إما للموت، أو للنفى، عقابا من القيصر.

لم يكتف فيروس بذلك، بل ألّب عليها بعض من يحبونها ويحبون الناصرى، ممن شفاهم من أمراضهم ومن المقربين والمقربات إلى مريم المجدلية، وحاول إقناعهم بأنه يريد إنقاذ الناصرى ولكن المجدلية هى التى لا تريد ذلك، لو قالت لى: نعم، سأنقذه، وإن قالت لى: كلا، فسوف يحكم عليه بالموت.

كانت مريم المجدلية من هول المفاجأة لتصرفات فيروس حيائها، والتى لم تكن تتوقعها منه، قد أصابها الذهول والوجوم، فلم تتحرك من مكانها، والتزمت الصمت، لا تتكلم ولا تسمع، نظراتها ثابتة، تحديق أمامها وتتنظر إلى الفراغ فى حالة ذهول!... لا ترى أحدا ولا تسمع أحدا، وهكذا، لم تتمكن من إنقاذه نتيجة للموقف الدنىء الذى اتخذته فيروس حيائها، علاوة على أن بعض الذين شفاهم الناصرى وهم من بين الذين يحبونه ويحبهم، قد تخلوا عنه، وتم تنفيذ الحكم فيه وصلب. (إنجيل متى، ٢٧ ، ٢٣-٢٥) - (إنجيل يوحنا، ١٩، ١٧-١٨).

وجاء بإنجيل مرقس (١٦، ٩ - ١١، أن يسوع ظهر لمريم المجدلية بعد أن قام باكرا فى اليوم الأول من الأسبوع الأول، وهى التى طرد منها سبعة شياطين، فذهبت إلى الآخرين وبشرتهم، بعد أن كانوا يكون وينوحون.

هذا بإيجاز ما كانت عليه حالة مريم المجدلية قبل التوبة وبعدها.

من الآراء التى جاءت بمجلة "النقد La Critique" بصدد هذه المسرحية ومؤلفها: (مسرحية مريم المجدلية التى قدمت لأول مرة فى ١٨ مارس ١٩١٢ على مسرح كازينو مينيسيبال" بمدينة نيس، وقدمت مرة أخرى على مسرح "لوشاتيليه" بباريس فى ٢٨ مايو من العام نفسه، إن مجرد ذكر اسم مؤلفها يثير الإعجاب والاحترام: "موريس ميتيرلينك" كما يبحث فى الذاكرة أجمل ما كتب

مثل: كنز المتواضعين، والحكمة والقدر، وحياة النحل، وذكاء الزهور، والتي لها تأثير نبيل، كما تذكرنا بمسرحيات كثيرة لها جمال ينبثق من بساطة التعبير، والفكر العميق، مثل: مونا فانا، والمتطفلة، والأميرة مالين، والطائر الأزرق، وغيرها. وجميعها من بين أمثلة الازدهار الدرامى المعاصر، تمثل صورا وأنواعا جديدة يفوح منها أريج عطر جذاب....

أما مسرحية "مريم المجدلية" (التي حققت نجاحا فى نيس، قبل أن تلاقى الاستهجان فى باريس، فهى أولا تختلف شكلا وموضوعا عن المسرحيات التى ذكرناها أيضا، حيث يتجمع فيها كل ما جاء فى المسرحيات السابقة من أفكار).

كما كتب أيضا أحد النقاد بالمجلة: (أن هذه المسرحية تتضمن فلسفة ميتيرلينك، وترتبط بتطور فكره، فهى تعتبر حلقة الوصل بين حلقات سلسلة أعماله الطويلة التى تربط بين محاولاته الأولى وبين آخر أعماله.

مسرحية مريم المجدلية لا تبتعد كثيرا عما نجده فى مسرحية أخرى مثل الإحساس بالخوف من الغموض، والرغبة من المجهول، والشعور المسبق بالألم، والشقاء والحزن الذى لا يمكن تجنبه، والقلق الذى لا حدود له "من المساوية اليومية".

ميتيرلينك يهتم أيضا بالحياة الروحية، كما يهتم بالحياة الأخلاقية والفضيلة، وهما يشكلان عنده نظرية السعادة التى هى فى رأيه، لكى يكون الإنسان سعيدا، فعليه ألا يشغل باله بأن يكون سعيدا أو لا يكون، بل يجب أن يتعود على أن يقنع بالقليل الذى يحصل عليه، وأن يمنح ما حققه كل ما يستحقه من تقدير، فذلك هو الالتحام بالحياة).

ويقول م. أدولف أديره: "أن مسرحية ميتيرلينك تبين لنا توبة مريم المجدلية، وأن المأساة تكمن فى نفس الخاطئة التى فازت بالعفو، ناضلت وقاومت ودافعت

عن نفسها. هكذا يدور الحدث كما جاء بالإنجيل... ويوضح البساطة والسذاجة والطيبة فى نفوس أهالى الجليل..."

عبقرية ميتيرلينك:

تتجلى عبقرية ميتيرلينك فيما تضمنته الفصول الثلاثة لمسرحية مريم المجدلية من معايير جمالية أدبية فى كل مشهد وفى كل فصل، وبالمقابل، يوجد أيضا معايير مأساوية، لأنه برهن على أنه يستطيع أن يحقق التأثيرات القوية المصاحبة لمشاهد المسرحية. ومن ثم تبدو عبقريته واضحة فى أنه لم يظهر شخصية المسيح على خشبة المسرح، وأنه بذلك زادت من تبجيل المشهد وتعظيمه وروعته بهذا الحضور الغائب...

ومن عبقريته أيضا إرسال ليعازر الذى ردت إليه الحياة، والذى أرسله يسوع إلى مريم المجدلية ليُبلغها رغبته فى رؤيتها، كأن المؤلف يفكر فى إرسال الموت إلى الجمال ليصعبه إلى الناصرى، أى إلى الهداية.

إن من أجمل ما يوجد فى أعمال ميتيرلينك هو ما يظل عالقا بالذهن لفترة طويلة بعد مشاهدة المسرحية، مثل معجزة إحياء ليعازر.

يقول أحد النقاد: "استطاع ميتيرلينك بموهبته المتميزة، وبتأثير إلهامه الأدبى أن يصنع معجزة رائعة: لقد أحيا حكاية ليعازر، هذا الفصل من الإنجيل، بالنسبة لنا، ليس حبراً على ورق، بل هو حقيقة مخيفة، حدث كأننا نحن أنفسنا قد شاهدناه".

وتتحدث المجلة أيضا عن عملية الإخراج المسرحى فتصفها بأنها موفقة ومقنعة، كذلك الديكور كان مناسباً فى الفصول الثلاثة لمجاراة الواقع، وفى الاستراحات بين الفصول كانت تقدم موسيقى "باخ" الدينية، وكان أوركسترا كولون هو الذى يقدمها حتى يشعر المتفرجون بأنهم فى "جو" دينى مناسب للمسرحية.

ومما هو جدير بالذكر أن الممثلة التى أدت دور مريم المجدلية، هى السيدة "جورجيت لوبلان ميتيرلينك" وقد أدته ببراعة فائقة، وبإخلاص فى التعبير أدى إلى التأثير على عواطف المتفرجين. والجدير بالذكر أيضا أنها قضت سنوات طويلة مع ميتيرلينك وأعانته كثيرا على ما حققه من نجاح.

فلسفة ميتيرلينك:

من خلال مسرحية مريم المجدلية، نستطيع أن نستخلص بإيجاز فلسفة ميتيرلينك؛ فهو لا يسرد أحداث المسرحية لمجرد السرد فقط، بل ليوضح آراءه الفلسفية من خلال المواقف المختلفة التى تتعرض لها شخصيات المسرحية، ك وفاة ابن أو ابنة أو فراق صديق حميم، فهذه المواقف فى رأيه تحتاج إلى حكمة وتبصر، فإذا كان الحزن على ابن أو ابنة، صغار أو كبار، أو صديق تفقده أو يفارقك، فلا جدوى من هذا الحزن، ولا ينبغى أن نبالغ أو نفرط فيه، لأنه لن يعيد إلينا من فقدناه أو من فارقناه، نظرا إلى أننا فى هذه الحياة مُسيرون لا مُخبرون، ومصيرنا وقدرنا جميعا مشترك، والموت حق علينا جميعا، وأجل مكتوب. لكن المهم هو أنه يجب أن نتغلب على الحزن ولا نستسلم له، فالمصير واحد، والبؤس والسعادة - كما ذكرنا سابقا - جوهريان بالنسبة إلى الزمن، وإن داما مهما داما، فإن هذه الديمومة قصيرة، سواء كانت بالنسبة إلى طفل وليد أو لشيخ طاعن فى السن، فكلاهما يستويان أمام الموت الذى ليس له موعد محدد.

جاءت هذه الفلسفة على لسان سيلانوس الذى يتسم بالحكمة والرأى الصائب عند مواساته لصديقه لونجينوس الذى فقد ابنته الصغيرة.

المترجم



مقدمة

"لقد اقتبست من مسرحية الشاعر الألماني "بول هاييز Maria -Paul Heyse - Von Magdala" أى مريم المجدلية، فكرة موقفين من المواقف الرئيسية من أجل مسرحيتى، هذان الموقفان هما: فى نهاية الفصل الأول، تدخل المسيح (عليه السلام) لصدد الجمع الفقير الغاضب عن مريم المجدلية، بهذه الكلمات التى سُمعت من خلف المسرح: "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر"، وفى الفصل الثالث موقف الاختيار؛ حيث تجد الآثمة الكبيرة نفسها فيه لتتقذ أو لتفقد المسيح (عليه السلام)، حسب موافقتها أو رفضها تسليم نفسها إلى أحد الرومانيين.

قبل أن أبدأ فى العمل، كنت قد طلبت من الشاعر الألماني الجليل الذى أكن له كل الاحترام أن يوافق على إضفاء تفاصيل وتطوير هذين الموقفين الغامضين فى مسرحيته، أكثر مما هما عليه فى مسرحيتى، حيث لم يكونا سوى مجرد خطوط مبدئية، وقد عرضت عليه الاعتراف بحقوقه بالطريقة التى يجدها عادلة ومنصفة. وكان رده على طلبى الموقر هو الرفض، وأنه ليؤسفنى أن أقول ذلك، يفتقد الحد الأدنى للياقة بل وقد تصل حدته إلى التهديد.

ومنتنذ، كان لزاما علىّ أن أعتبر الحديث الإنجيلي المذكور أعلاه ملكا للجميع، وأن البديل الذي أتحدث عنه هو من البدائل التي نلتقى بها أكثر من مرة في الأدب المسرحي، ورأيت أنه من الأفضل شرعا أن أستخدم هذا البديل على نحو أرجح مما كنت أتصوره تماما في العام نفسه الذي نشرت فيه (Maria Von Magdala ماريا فون مجدلا: مريم المجدلية) دون إمكان التعرف عليها في الفصل الرابع لجويزيل "Joyzelle".

سأضيف أنه فيما خلا أساس هذه المواقف وفيما يتعلق بكل ما يخص موضوع هذه المسرحية من حيث حبكة الحدث، الشخصيات، السمات الرئيسية، التغييرات المفاجئة التي تؤثر على سير الأحداث، الوسط أو البيئة، فإن مسرحيتنا لا يوجد بينهما أى شيء مشترك إطلاقا، لا سؤال، ولا جواب، ولا حتى جملة واحدة متماثلة توجد في هذه أو تلك. ويعنى ذلك، أننى أشعر بالسعادة لأظهر للمعلم العجوز امتنانى بأسلوب ساحر إلى حد ما، والذي لكونه غير مقصود، فإنه يظل مع ذلك بعفويته جديرا بأن يُعد رفيع المكانة.

(المؤلف)

الشخصيات

Lucius Vérus (Tribun Militaire)	لوقيوس فيروس (مهام عسكري)
Annoeus Silanus, et Son Voisin Simon	أنيسوس سيلانوس، وجاره سمعان
Le-Lépreux.	الأبرص
Appius	أبيوس...
Coetius	قيتيوس
Lazar	ليعازر
Joseph d'Arimathie	جوزيف داريماتي
Nicodème	نيقوديموس
Marie- Magdeleine	مريم المجدلية
Marthe, Soeur de Lazard	مارتا، أخت ليعازر
Marie	مريم..
Marie- Cléophas	مريم - قليوفاس
Marie- Salomé	مريم - سالومي
Bartimée	باتيماوس

بعض العمى، مجموعة من العجزة والمشوهين، وذوى العاهات، بعض المرضى والمتشردين، والناجين من المرضى بفضل معجزة، قديسات أخريات، متسولات وعاهرات، وغيرهم..

الفصلان الأول والثاني، تجرى أحداثهما في قرية بيت عنيا.
الفصل الثالث تجرى أحداثه في أورشليم القدس..

الفصل الأول

حدائق أنيوس سيلانوس، فى بيت عنيا.. شرفة رومانية. مقاعد رخامية، أروقة بأعمدة، تماثيل. فى الوسط حوض بنافورة.. حجيرات مزينة بالخضرة، أشجار برتقال ورند فى أوان من الحجر، درابزين على اليمين وآخر على اليسار يطلان على الوادى.. درابزين فى الخلف، مفتوح فى منتصفه، يسمح بالمرور إلى ممر مزين بأشجار الزينة المختلفة تحده التماثيل من الجانبين، وينتهى إلى سياج من نبات الرند يغلق الحديقة.

المشهد الأول

يدخل أنيوس سيلانوس ولوقيوس فيروس

سيلانوس : ها هو فخر ضيعتى الصغيرة: شرفتى التى تذكرنى بالضيعة التى كنت أمتلكها فى "رينيسيت" والتى كانت ذروة ما تهفو إليه نفسى وقمة ما تصبو إليه أمنياتى.
ها هى أشجارى من البرتقال، والسرو، والرند الوردى. هناك حوض السمك، الرواق بصور الخالدين، بينهم صورة "مينيرفا".

التي عثر عليها فى أنطاكية. (مشيرا إلى اليسار، منظر طبيعى) ومن هنا، المنظر الذى لا مثيل له المطل على الوادى حيث يُشرق فصل الربيع. نحن شبه معلقين فى الفضاء... تأمل منحدرات بيت عنيا وشقائق النعمان التى تنحدر عليها. يقال إن الأرض تتعلق بأشجار الزيتون عند سفحها. هنا، أذوق فى هدوء مزايا التقدم فى السن لمن يعرف كيف يتمتع بالأيام الخوالى، لأن الشباب يخفقون فى التمتع بما لديهم من ألوان السعادة حين لا يأخذون فى اعتبارهم سوى ما هو متاح منها أمام أعينهم...

فيروس : وبعد، ها هى الأشجار، والماء، والخضرة!... لقد تلاشوا من ذاكرتى منذ أن وصلت إلى هذه الصحراء الحجرية والتى تسمى باليهودية... ولكن كيف تأتى ذلك، يا أستاذى الطيب، كيف حددت إقامتك بالقرب من هذه المدينة المقفرة والكثيبة، وحيث الأرض مخيفة، والناس قبيحاء، أشراس، منافقون، أشرار، أقذار وهمجيون؟...

سيلانوس : كما تعلم، أنى كنت قد تبعت النائب فاليريوس جراتوس إلى مدينة قيصرية، ثم عدت إلى روما حيث كنت أنت تلميذى المخلص والمفضل لبعض الوقت. ولكن فيما بعد خجلت من أن أعلم حكمة كانت تأكيداتها تبدو لى مشكوكا فى صحتها ويتعاضم هذا الشك كلما ازددت تأكيدا عليها بيقين أكبر. ثم تم استدعائى إلى هنا، فى هذه المنطقة الموحشة، اليهودية، بناء على أمر أغرب من العجب. إبان إقامتى الأولى، كنت قد بدأت دراسة كتب اليهود المقدسة، إنها وإن كانت مشوهة ودموية، فنجد فيها كذلك حكايات جميلة والجهود المبكرة لحكمة بدائية تتسم بتمييزها فى بعض الأحيان. ولم يمل منها اهتمامى بها بعد.

فيروس : فى الواقع، صديقنا أفيوس الذى قابلته فى أنطاكية كان قد

حدثني عن دراساتك وحبك المفاجئ والغامض للكتب اليهودية القديمة...

سيلانوس : لن يتأخر في الحضور...

فيروس : من؟... أبيوس؟... أهو إذن في القدس؟...

سيلانوس : أكنت تجهل ذلك؟... بل أنت شخصيا، منذ كم يوم أنت في البلد؟... رسالتك أول أمس لم تذكر لي ذلك قط...

فيروس : منذ ما يقرب من أسبوع، أردت أن أخصك بساعتي الأولى من وقت الفراغ. لقد غادرت أنطاكية لأرافق النائب بيلاطس البنطى الذى يخشى حدوث الاضطرابات، إلى اورشليم القدس. من المحتمل أنه سوف يحتاج إلى مساندة من جنودى السابقين....

سيلانوس : أبيوس المهم والضخم والذى حديثه مثل عاداته المتشردة، يجمع بين الأصدقاء الأكثر بعدا عن بعضهم، حدثنى عنك كما حدثك عنى، وأخبرنى أنه عندما كان فى أنطاكية، سعد بلقائك، وكنت تبدو فريسة لحب كبير بأثس...

فيروس : أى حب؟...

سيلانوس : كيف يمكن لأجمل المحامين العسكريين فى مركزه المرموق، أن يكون له أكثر من قصة حب ويخفق فيها؟... الأمر يتعلق بامرأة من هذه المناطق، امرأة جليلية (*) إذا لم أكن مخطئا.....

فيروس : مريم المجدلية؟... تحدث عنها معك؟... أين هى؟ أنا لم أرها مرة أخرى، لقد غادرت أنطاكية فجأة وفقدت أثرها....

سيلانوس : ولكن لماذا لم تكن طيبة القلب من ناحيتك قط؟... كان أبيوس قد أكد لي أنها، حقيقة، تحتقر رجال هذا البلد، ولكنها لم تظهر قط أية عداوة تجاه فرسان الرومان....

(*) نسبة إلى بلدة الجليل بفلسطين، وأيضا: الجليلي، يقصد به المسيح - عليه السلام، (المنهل، ص ٥٦٥). المترجم

فيروس : هذا سر من هذه الأسرار الخاصة بالمرأة التي لا تتيح لنا واجباتنا بوصفنا ضباطا، الوقت لكى نستوضحها. لم يكن باديا عليها أنها تكن لى أى إحساس بالكراهية، على الأقل الكراهية التي كانت تود أن تظهرها لى لم تكن خالصة، بل امتزجت برقة شديدة... وإن كان يشوبها نوع من الخوف الغامض، كان يجعلها تتجنب حضورى بطريقة عنيفة... فضلا عن ذلك، فهى مؤخرا، قد ابتليت بألم شديد، على ما يبدو، وقيل لى إنها تأست منه أنفا أكثر من مرة...

سيلانوس : لست أدري، وكل ذلك لا يبدو لى محبطا، مع ذلك، لماذا نخوض فى موضوعات يشوبها الشجن فيما خلقه الله من أجل البهجة؟.... إذن أبيوس كان يريد منى أن أساعدك، بما لدى من نصائح حكيمة، لأشفيك من بلية تسبب لك الحزن بلا داع. ولكن بداية، أحبها بقدر ما يؤكد أبيوس، الذى كثيرا ما يكون كلامه مبالغا فيه وطائشا؟....

فيروس : إنى اشتيتها، ولا أزال أشتيها كما لم أشته امرأة من قبل... سيلانوس : أنت تتحدث بتعقل، مع عدم إقصاء، الشهوة عن الحب منذ البداية، ومع ذلك، أنا أتفهم الأمر. لا جرم(*) أنها أجمل من كثير من النساء اللاتي أعجبت بهن فى حياتى.

فيروس : كيف؟... هل رأيته؟... هى إذن فى أورشليم...؟ سيلانوس : إنها أقرب منا عن أورشليم.. التي تقع على بعد خمسة عشر ستادا(**) من بيت عنيا... (يجذبها قليلا نحو اليمين) اقترب قليلا من هذا الرواق وانظر إلى هناك، فى أعماق الوادى... ماذا ترى هناك؟...

(*) حقيقة أو من المؤكد. (المترجم)

(**) مقياس مسافة. (المترجم)

فيروس : أرى أشجار الزيتون، ممرات، مقابر... علاوة على زخارف عند مدخل قصور أو معابد، أعمدة، وأشجار السرو... يحسب المرء نفسه في ضواحي روما... ولكنى لا أستطيع تحديد أو إدراك ما ترمى إليه...

سيلانوس : ذلك هيرودس الكبير، إنه طراز الرجل المجنون الثائر ولكنه بناء وقد قام بتزيين هذا الوادى بمبانٍ جميلة رومانية الطراز أكثر من مباني روما نفسها... ولكن، انظر إلى منتصف الجانب الثانى إلى اليسار من هذه الشجيرات الثلاث، شجرات السرو، على بعد أربع أو خمس ستادات من هنا... هل استكشفت إحدى أجمل الفيلات المشيدة من الرخام؟...

فيروس : تلك التى تتقدمها درجات عريضة بيضاء تؤدي إلى صف من الأعمدة على شكل نصف دائرى حيث تنتصب بعض التماثيل؟...
سيلانوس : إنها هناك حيث تنعزل بعيدا عن اليهود...

فيروس : مريم المجدلية؟... فى غياهب هذه الوحشة، وبعيدة إلى هذا المدى عن المدينة؟...

سيلانوس : إنها تهرب، كما قالت لى، من العنت اليهودى، الازدحام الشديد فى اورشليم والروائح المنفرة التى تتضاعف قوتها عند قرب حلول عيد الفصح...

فيروس : أنت تراها إذن؟... هل تحدثت إليها؟...

سيلانوس : إن أيبوس الطيب يعلم أن رؤية امرأة شابة جميلة أمر تستمتع به عيونى دون أى مجازفة، ولذا لم يثنها قط عن أن تذهب إلى قصر رجل كبير السن، مسالم ولا يشكل أى تهديد.

فيروس : ماذا قالت؟... وما تأثير تلك المقابلة عليك؟...

سيلانوس : كانت ترتدى ثوبا يبدو مرصعا باللآلئ، ومغطفا من نسيج أورجوانى اللون من مدينة صور، بحبات من حجر السفير،

وتتزين بالحلى التى يُثقلها قليلاً البذخ الشرقى. أما شعرها
فأفترض أنه لو كان مسترسلاً، يغطى بغلالة ذهبية غير شفافة
حوض المرمر هذا الذى فى وسطه نافورة ماء من حجر
السماق...

فيروس : إنى أتحدث عن ذكائها، عن طبعها... فأنت لا تخطئه أبداً، فهى
ليست عامرة مألوفة... بل لديها مفاتن أخرى أفضل تولد
شعوراً أعمق بالحب.

سيلانوس : أنا لم أنتبه سوى إلى جمالها الحقيقى الذى يريح الناظر إليها...
مع ذلك، سوف نحكم على ما تقوله بعد قليل، فهى لن تتوانى عن
الحضور...

فيروس : هل سوف تأتى إلى هنا؟... ولكن هل تعرف أنها ستجدى هنا
عندك؟...

سيلانوس : بكل تأكيد. لقد بدا لى أن هذا اللقاء سيكون أكثر فاعلية لمواساة
أملك أكثر من تأثير النصائح الحكيمة التى يريدها أيبوس...

فيروس : ولكن هى؟... ماذا قالت حين علمت أن...

سيلانوس : ابتسمت بلطافة متأملبة وتهتز من الفرحة... المدعوون الآخرون
سيكونون ممن لا غنى عنهم... أيبوس وقيلوس، زميليك فى
الدراسة فى "رينيست"... أتعشم أن يصحبا معهما صديقنا
الحزين لونجينوس الذى فقد، منذ ثلاثة أسابيع طفلة صغيرة
تبلغ من العمر عامين، سأحاول أن أواسيه، بأسباب طيبة
ومقنعة، لألم، من المؤكد أنه متباين مع ما فقده.

سيكون لدينا من بين الوجبات التى أتعشم أن تكون ممتازة،
سمكتان من أسماك نهر الأردن التى لا تعرفها أنت أبداً، والتى
أعدها دافوس، طباخى العجوز... ولكنى أسمع صوت المصفار
المزدوج... لا بد أنه محمل ملكة بيت عنيا وأورشليم الذى توقف

عند باب منزلى... إن عينيك سوف تقابلان النور الذى تشتاقان
إليه، وعيناي ستقابلان الابتسامة التى تعجبهما، إلا إذا المرايا
الفضية بالفناء استوقفتهم أكثر من اللازم...

فيروس : ها هى هناك...

"تدخل مريم المجدليلة من الجهة اليمنى.. يتبعها بعض العبيد، تومئ
إليهم بحركة أمرة كى ينصرفوا"

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم، مريم المجدلية

(سيلانوس يتوجه إلى مريم المجدلية ليستقبلها)

"من هى تلك التى تشرق من الصحراء

مثل عمود من الدخان

تفوح برائحة المُر والبخور؟

من تلك التى تيزغ مثل الفجر،

أجمل من القمر، وأسطع من الشمس،

وإن كانت صنديدة كجيش فى معركة،"

كذلك تنشد كتبكم المقدسة عند اقتراب "السولاميت"...

مريم المجدلية : لا تحدثنى عن كتبى المقدسة، إنى كرهتها كما كرهت أى شئ

يأتى من قبل هذا الشعب الخبيث والخسيس، البخيل

والشرير...

فيروس : (يندفع ليحييها بدوره) سأحدث إذن على الطريقة الرومانية:

"تحية إلى بكريه أجلايا، أصغر فتيات الكاريت(*) وأقواهن!..."

مريم المجدلية : لك أن تواسينى بدلاً من أن تمدحنى. لقد سُرقت هذه الليلة،

(*) ربات الجمال اليونانية - الرومانية وهن أجلايا، وتالى وإفروزين. (المترجم)

علاوة على أجمل لآلى، فصوص من الياقوت القرطاجينى، والطواويس التى جلبتها من بابل وكل أسماك الزينة فى حوض السمك... ولكنهم فعلوا ما هو أسوأ من ذلك. كان عندى، وأنت رأيتم يا سيلانوس، مزهريتان تثيران الإعجاب من الكريستال وحجر العقيق، مملوءتان بسنابل عطر الناردين الهندى الثمين، كنت أحتفظ بها من أجل اليوم الموعود الذى سيأتى حتما، حيث يُحاط بها جسدى وبالشرائط الجنائزية...

سيلانوس : نعم، أتذكرهما، وكانا لا مثيل لهما!... وفى رأى، أنهما كانتا من صناعة فينيقية، ولا بد أنهما يرجعان إلى زمن سليمان، لم أر قط أى مظاهر أخرى فى جمالهما. ولكن يستحيل عليهم أن يكون لديهم المهارة ليستولوا على مثل هذا الكنز الذى أمامه، قيصر نفسه، كان سينحنى!...

مريم المجدلية : لم يأخذوا سوى واحدة، ولكنى لست أدرى لماذا أبدوا احترامهم للأخرى وتركوها دون المساس بها، على قاعدتها الفضية، فى آخر الفناء... ربما يمكن القول بأنه فى اللحظة الأخيرة استولى عليهم خوف وشك وترددوا فى إنجاز السرقة... لإصابتهم بالاضطراب...

فيسروس : كانوا يعلمون جيدا أنهم يقتطفون انتهاكا للحرمات!... ولكن أليس عندك أى دلالة أو شكوك؟...

مريم المجدلية : لا أدرى... لقد أمرت بضرب العبيد بالمقرعة وتعذيبهم، فهم المكلفون بحراسة المطيرة(*) وجوض السمك، ولكن لم يعترفوا بشئ، واعتقد أنهم لا يعرفون شيئا...

سيلانوس : عملية السرقة تثير الدهشة، لأن البلد آمن... وها قد مر ما

(*) مكان واسع لتربية الطيور. (المترجم)

يقرب من ست سنوات وأنا مقيم فيه، ولم يحاول أى أحد أن يسرق منى ولو جزءا من حكمتى التى لم تكن محبوسة قط وهى أؤمن شيء أمتلكه... اليهودى منافق، مكر وسيئ النية، يقوم بالنصب والاحتيال والريا، كذلك معظم الفضائل والردائل تتفاوت فى المعاملة، ولكنه يتجنب شبه دائم السرقة الصريحة والشرعية، السرقة الشريفة، لو صح القول...

مريم المجدلية : فى البداية، ساورتنى شكوك تجاه العمال الصوريين (نسبة - إلى مدينة صور) الذين كانوا فى ذلك الوقت يُغيرون، فى إحدى قاعات فيلى، الخزارف المتحركة التى يتم تبديلها عند كل وجبة، بطريقة تجعل الحوائط منسجمة مع الوجبات التى تزدهم بها المائدة...

فيروس : رأيت مثلها عند حاكمنا قومينيوس فلاكوس، فى أنطاكية، ولكنى لم أكن أعلم أن هذا الابتكار الحديث فى روما نفسها، قد تسلل إلى هذا البلد البعيد...

مريم المجدلية : لذلك لن تجدها سوى فى فيلى، والقصر الأخير لتيتراك أنتيباس محروم منها أيضا... فى البداية دارت شكوكى حول هؤلاء العمال، لكن عندى الدليل على براءتهم. وأنا الآن على يقين أنه ينبغى البحث عن هؤلاء اللصوص بين أفراد هذه العُصبة من المتسولين والمتجولين الذين منذ وقت غير طويل قد غزوا البلد.

سيلانوس : هذه الجماعة اشتهرت بجماعة الناصرى(*).

مريم المجدلية : تماما. رئيسهم. قيل لى، أنه نوع أو طراز من الرجال المتشردين، قدر، يخدع الجماهير بسحر فاحش، والذى تحت ذريعة التبشير لا أعرف بأية شريعة.. أو مذهب جديد، لا يعيش إلا من النهب..

(*) نسبة إلى مدينة الناصرة، ويقصد به أيضا المسيح (عليه السلام). (المترجم)

ويحيط به أفراد قادرون على فعل كل شيء... ومع ذلك، فإننى أشكو منهم على مستوى آخر من العلاقات... فأول أمس، عندما كنت أتنزه فى حدائقى، تحت الرواق الذى يفصلهم عن الطريق، عدد من البؤساء يبلغ اثنى عشر بائسا، انفصلوا عن هذه الزمرة، ووجهوا إلى سبابا بطريقة بذئية ومُهددين إياى بقذفى بالحجارة... لقد أصبح ذلك أمرا لا يطاق، وآن الأوان لتخليص المنطقة منهم.

فيروس : لقد حدثونى عن هؤلاء الناس... وأعلم أن الوالى الرومانى مهتم بهذا الموضوع وسأفرض عليهم رقابة عن كثب.. ومع ذلك، إذا كنت ترغبين فى أن ألقى القبض على زعيمهم فسيكون ذلك يسيرا بالنسبة لى...

مريم المجدلية : أرجوك ذلك، وفى أقرب وقت ممكن... وسأكون ممتة لك بصفة خاصة...

سيلانوس : أعتقد أنك خُدعت. اللصوص، حسب ما أرى، غير موجودين فى هذه الناحية. إنى فى موقع جيد ليتسنى لى معرفة الزمرة، سمعت منذ خمسة أو ستة أيام أن هذه الشرذمة تعمل على بعد خطوات من منزلى، وسرنى - لأن كل شيء يتحول إلى متعة بالنسبة لسنى - أن أحضر أحد اجتماعاتهم. كان ذلك بالقرب من طريق أريحا القديم. الزعيم كان يتحدث فى وسط جمع غفير من الناس، مغبرين، عليهم ثياب رثة. بين هذا الجمع يلاحظ وجود عدد كبير من العاجزين والمرضى منفردين إلى حد ما.. ويبدو عليهم أنهم جاهلون ومتحمسون إلى أقصى حد وقذرون، ولكنى أعتقد أنهم غير عدائيين، وغير قادرين على السرقة اللهم إلا كوب ماء أو سنبله قمح... كانوا يستمعون بلهفة إلى حكاية ساذجة، حكاية ابن عاد إلى أبيه بعد أن بدد إرثه...

لم أسمع النهاية، لأنهم نظروا إلى نظرات فيها شك... ولكن
الجليلي،(*) أو الناصري، كما يُلقبونه هنا، عجيب وفريد إلى حد
ما، في صوته حلاوة عميقة وله نبرة خاصة... إنه على ما يبدو،
ابن نجار... سوف أحدثك عنه مرة أخرى، عندى تفاصيل عنه
مهمة، ولكن اسمح لى أولاً أن أذهب لأرى، من الجهة الأخرى
من المنزل حيث نطل على الطريق، ما إذا كان هناك أى من
ضيوفنا الذين تأخروا...
يخرج من الجهة اليمنى..

(*) نسبة إلى مدينة الجليل، والمقصود بالجليلي هو المسيح (عليه السلام). (المترجم)

المشهد الثالث

مريم المجدلية، فيروس..

فيروس : لم أكن أتصور أن تتاح لى فرحة رؤيتك ثانيا، وبموافقتك، وذلك بعد الكلام اللاذع الذى كان قد انتزع منى حتى الأمل الذى أحيانا ما يترك إلى هؤلاء الذين نريدهم أن يصيبهم اليأس والإحباط...
مريم المجدلية : كنت حمقاء وطائشة، ولكن ها هو العقل قد ثاب لرشده، وعلمت أن أجمل حب لا يساوى دمة واحدة.

فيروس : بقدر ما هو ليس الأفضل، ولا حتى الحب الجميل، بمجرد أن يُذرف فيه الدمع...

مريم المجدلية : لم يعد بالنسبة لى هناك ما هو الحب الأفضل أو الأسوأ... أنا عشت حتى هذه اللحظة بين أكاذيب أفاد منها الآخرون ومنذ ستة أشهر، أعيش فى قلب وقائع أحقق منها فوائد...

فيروس : ماذا تقصدين بذلك؟

مريم المجدلية : إننى أبيع نفسى بمهارة أكثر وأعلى مما سبق...

فيروس : يا مجدلية!... إنك تفترين على نفسك وتحطين من قدرك!

مريم المجدلية : سوف ترى، لو أن رغبتك كانت تغريها المغامرة، أننى على العكس، أقدر نفسى بأعلى قيمة...

فيروس : أنت تقدرين نفسك دائما أقل مما أقدرُك أنا... أنت لن تتوصلى

إلى أن تحطى من قدرك فى نظرى!... وأنا لا أرى فيما تقولينه
لى سوى ثورة شرعية لنفس جريحة فى أعماقها، تتماسك فى
وجه الألم... .

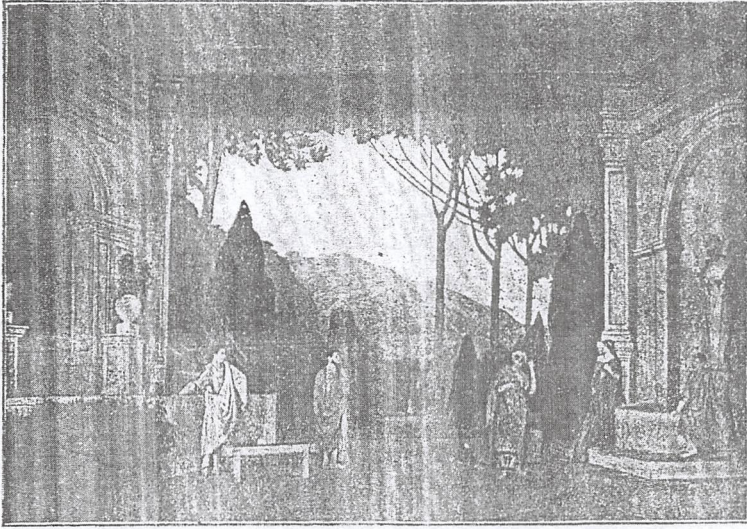
مريم الجدلية : أنت مخطئ فهى ليست نفسا متماسكة، بل هى نفس وجدت
ذاتها...

فيروس : أنا لا أصدق شيئاً من ذلك... وعلى كل فأننا أفضل أن أكون
مدينا لك بالبغضاء والكراهية عن أن أفقدك لأنبل قضية...
وبما أن الأمر يقتصر على أن أقدرك تقديرا كبيرا، فاعلمى، منذ
الآن... أنك ملك لى أنا...، يا مجدلية...

مريم الجدلية : ذلك ممكن... ولكن ها هو مضيفنا قد عاد.. نحن ليس لدينا،
الآن، ما نقوله لبعضنا...

يدخل، من الجهة اليمنى، كل من سيلانوس، وإبيوس، وقيليوس...

المشهد الرابع



أبيوس مريم المجدلية سيلانوس قيليوس فيروس

سيلانوس: "المواساة، يا سيدتي، ليست أن ننكر الألم بل أن نتعلم كيف نتغلب عليه!"

المشهد الرابع

الأشخاص أنفسهم، سيلانوس، أبيوس، قيليوس

"يتجه أبيوس نحو مريم المجدلية"

"فِينوس غادرت قبرص"

"وحلقت فوق أورشليم!..."

أو على الأرجح، هي الجميلة تيميساً التي سرعان ما أعادت
البسمة إلى شفتى ابن تيلامون!... تأمل إذن يا قيليوس الصورة
الجميلة التي شكلها تحت سقف هذا الرواق، الحب والجمال.

قيليوس : نكاد نقول إن السماء اللازوردية قد انبسطت عليهما، بين هذين
العمودين...

سيلانوس : السماء الصافية والنور لا يبدوان سعيدين إلا عندما يحتويان
الشباب والحب... ولكن لكى نعود إلى صور أقل بريقاً وتألّقاً
لتتناسب على نحو أفضل مع رأسى الذى أثقلته سنوات العمر
فإننى ألاحظ أن نوعاً من الشعور قد دفعنا إلى أن نتحدث منذ
لحظة، عن جماعة الناصرى، لأن تلك الجماعة هي نفسها التي
تسببت في تأخير ضيوفنا...

أبيوس : فى الواقع، تصورووا عندما اقتربنا من هناك، عند آخر تقاطع
وجدنا البلد فى حالة اضطراب والطريق مزدحم بحشد صاخب
ومتحرك يتدافع حول رجل أعمى، استرد بصره...

فيروس : تلك فى الحقيقة إحدى الظواهر التى لم نقابلها إلا فى القرية
اليهودية...

قيليسوس : كان ذلك مثيرا للعجب!... الرجل المسكين، مدفوع بشدة نحو
جدار قديم كان يصيح وهو يدير عينيه المنتشيتين والطاهرتين:
"هذا نبي، هذا نبي!.. إنى أرى رجالاً يسيرون وهم أشباه
أشجار!.." والحشد حوله يضرب الأرض بالأقدام.. كان يبدو أن
النور يبهر عينيه...

أبيوس : أو على الأرجح النبيذ، لأنه كان يترنح بوضوح...
فيروس : والناصرى، هل رأيته؟...

أبيوس : كلا، كان قد ابتعد فى الحال، يتبعه الجزء الأكثر صخباً من
الحشد، وإلا ما كنا استطعنا أبداً أن نمر...

مريم المجدلية : فى الواقع، يبدو أنه عندما يندفع هؤلاء اللصوص حول زعيمهم،
فإنهم ما كانوا ليفادروا مكانهم من أجل أن يفسحوا الطريق...
ولو حتى لقيصر...

قيليسوس : أين ذهب؟... يدفعنى فضولى إلى أن أراه...

سيلاتوس : لا بد أنه لم يبتعد كثيراً... انظر إلى هناك فى آخر حديقتي هذا
السياج من شجر الرند؟... إنه يفصل بين ضيعتي الصغيرة
ويستان جارى الذى يدعى سمعان الأبرص...

مريم المجدلية : وهى تتنفذ - ماذا! جارك الأقرب لك هو أبرص؟... كان ينبغي
أن تقول لنا ذلك...

سيلانوس : اطمئنى، يا سيدتى، إنه لم يعد مصاباً بمرض البرص...

أبيوس : كنت أعتقد أن الأبرص يظل كذلك طوال حياته مثلما يكون المرء

مقعدا أو أحدا... تلك هى أيضا مفاجأة أخرى من هذه القرية الموحشة، اليهودية...

سيلاَنوس : الناصرى شفاه.

فيلـيوس : هل هو شُفى حقيقة؟... بصفته أقرب جار، لابد أن تعرف حقيقته...

سيلاَنوس : إنى أعرف أنه سليم معافى ووجهه مثل وردة مجدلة وزنبقة بيت عنيا... أمامك ها هنا، لكنى أجهل ما إذا كان مريضا فى الماضى حيث إننى لم أشاهده قط قبل شفائه...

أبيـوس : كنت أشك فى هذا الأمر... ومع ذلك رأيت فى تراقيا ومصر سحرة يفوقونه مهارة... ولكن لاستئناف الحديث عن هذا الأبرص دون برص، ماذا يجرى إذن خلف هذا السياج، وعند هذا الجار الغامض؟...

سيلاَنوس : الناصرى ضيفه منذ ثلاثة أيام... سمعان هذا، وأخته، وزوجته، وكذلك على ما أعتقد زوج أخته أناس من سواد الشعب يعيشون من دخل أشجار الزيتون التى يمتلكونها... كانوا جيرانا لا يتسمون بالجرأة وهادئين، ولكن منذ مجيء الناصرى.. انقلب حال كل شىء... هناك حركة ذهاب وإياب دائبة، وهرج ومرج مستمر... بستانهم مزدحم دائما بجمع غفير من المرضى، والمتشردين، وذوى العاهات، خرجوا من كل شعاب اليهودية، ليبتهلوا لذلك الذى يسمونه "منقذ العالم"، ابن داود وملك اليهود.. هم أحيانا عددهم كبير حتى إنهم يتجاوزون حدود حديقتى.. ها هو السياج كما تراه، كان مفروكا، مدهوسا، بل ومخترقا فى بعض أجزائه حيث حدثت به ثغرات.. لحسن الحظ، أن فترات ظهور الناصرى نادرة وقصيرة... علاوة على ذلك، وبالرغم من هذه المضايقات، فإن هذا المشهد يسلى ويشير فضولى...

فيلبوس : (يدخل من الجهة اليسرى خمسة أو ستة فقراء).

من هم هؤلاء الناس؟

سيلانوس : ماذا أقول لك؟... ها هي نصف دسته منهم جاءوا يطلبون بعض الخبز.

أبيوس : هل هم من الجماعة المشهورة؟...

مريم المجدلية : إنهم منفرون ورائحتهم كريهة!... أحدهم وجهه منهوش بقرحه، وآخر يكاد أن يكون عاريا، وثالث يدنو من الموت جوعا!...

أبيوس : لا جرم أنهم لا حياء عندهم حتى إنهم يحملون معهم القبح والخوف ويتجولون بهما فى الأنحاء...

سيلانوس : لا تتضايق أبدا، هؤلاء لن يشوهوا جمال الرواق وأناقته لوقت

طويل... حيث ترتاح نفوسنا بالنظر إليه... الجنائنى عندى اكتشفهم، وهو مُسلح بمعزقة صلبة وسوف يطردهم بلا لين أو رافة... انظروا، إنهم لا يصرون أو يلحون أبدا، ينصرفون فى هدوء وهم خافضون رؤوسهم... والآن وقد انشغلنا بما فيه الكفاية بالبؤساء، وزعيمهم الكبير وأمراضهم، فلنفكر قليلا فى أنفسنا، ولنتذوق سعادة بعد ظهر هذا اليوم الجميل الذى أهدها لنا الربيع... بهجتى برؤيتكم مجتمعين ما كانت لتشويها أية شائبة لو أن صديقنا القديم لونيچينوس راضخا لإلحاح أبيوس، كان قد وافق على أن يأتى بصحبكم...

أبيوس : لم أجرب قط بحماس أكبر غرور البلاغة العظيمة التى علمنى إياها هو شخصيا... وردا على كل أسبابى الأكثر إقناعا والأفضل استنتاجا كان يواجهها بصمت مطبق أو هز رأسه مرددا أنه لم يكن يريد أن يكدر بحضوره الكثيب، اجتماعنا السعيد...

فيلبوس : ومع ذلك، ها قد مرت ثلاثة أسابيع على وفاة هذه الطفلة... لم

أكن أصدق أن الألم يمكن أن يصيبه إلى هذا الحد...
لا سيما أنه يتعلق بطفلة فى سن الحداثة كان والدها يعرفها أقل
مما تعرفها مرييتها...

سيلانوس : وهناك أيضا ما يثير الدهشة أكثر، والذي يؤكد فى الصميم أن
أهم شىء فى الحكمة، ليس أن نعرف أكثر بل أن نتواء مع ما
نعرفه... عندما فقدت، وذلك منذ أكثر من عشرين عاما، صبيا
صغيرا، وكان تقريبا فى عمر الطفلة التى يبكيها، لونجينوس
أخذ فى مواساتى كتب إلى رسالة بليغة، مستندا إلى سلطة
ميترودور، وسلطة مانيتيوس، وهيرمانكوس، يُثبت لى فى
مضمونها أن الألم ليس "فقط لا جدوى منه، بل إنه عقيم...،
لقد حفظت تقريبا عن ظهر قلب أهم فقرات هذه الرسالة التى
عثرت عليها ثانية، وأعدت قراءتها هذا الصباح... وذلك لقوة
معانيها المؤثرة... كانت من أسمى الكلمات التى يمكن للحكمة
الإنسانية أن تنطقها عن الموت والألم... وفى الماضى... كانت
بمثابة حماية لى...

مريم المجدية : ماذا كانت هذه الكلمات؟... من الجميل أن تعرف ما يمكن أن
يخفف الألم...

سيلانوس : قال لى "أنت تنتظر تعازيا... لن تتلقى سوى لوم... إذا كنت قد
تلقيت وفاة طفل بكل هذا القدر من عدم التمهّل والصبر، ماذا
كنت ستصنع لو أنك كنت قد فقدت صديقا؟... كان ينبغى عليك
أن تضع نفسك فى هذا الموقف... بأن تكون راضيا أكثر لأنك
رُزقت به بدلاً من أن تحزن لأنك فقدته. ولكن الأغلبية لا تهتم
بمزايا الماضى ومسراته. إنهم يلحدون الصداقة فى القبر مع
صاحبهم..."

أبيوس : إنى أعترف وأشيد بحكمة أستاذنا المبجل البليغة...

سيلانوس : لماذا لم يذكر ذلك عندما هاجمه الشقاء؟ بل لماذا نسيته أنا شخصيا عندما كنت فى حاجة إليه؟... وأضاف قائلاً: "أؤكد لك أن الكثير من هؤلاء الذين أحببناهم يتبقى حتى بعد أن اختطفهم القدر. الزمن الذى مضى ملكا لنا، وأنا لا أرى شيئا نستطيع التيقن منه أكثر مما كان فى الماضى. الأمل فى المستقبل يجعلنا كافرين بالنعم التى رُزقنا إياها، كما لو أن ما ننتظره من خير لا ينبغي أن يكون مُدرجا فى مصاف الأشياء الماضية. لقد توفى لك ابنٌ صغير جدا والذى لم تكن قد استطعت بعد أن تعده بشيء، ذلك ليس إلا حيزا صغيرا من الزمن المفقود. هناك أمثلة لا نهاية لها لآباء فقدوا أبناءً فى سن الحداثة دون أن يُذرفوا دموعا واحدة، وعادوا إلى مجلس الشيوخ بعد أن وضعوهم فى المقبرة. لم يكن ذلك دون سبب، لأنه، فى المرتبة الأولى، ليس من الضروري أن نحزن عندما يكون الحزن غير مُجد. وبعد ذلك، من الخطأ أن نشكو من بلية أصابت شخصا ما ولا تزال مُسلطة على رؤوس الآخرين. وعلاوة على ذلك، فإنه من حماقة أن نشكو عندما تكون هناك مسافة قصيرة جدا تفصل بين الذى توفى وذلك الذى يحزن عليه. ولتعلم أن الجنس البشرى، الذى يتجه لمصير واحد، لا تفصل بين أفراده سوى مسافات قصيرة، حتى ولو كانت تبدو طويلة جدا. إن ذلك الذى اعتقدت أنه فقد، قد سبقك فقط. بما أننا لنا طريق واحد علينا أن نسلكه، أليس من الجدير بحكيم أو عاقل ألا يبكى ذلك الذى رحل مبكرا عنا؟ حين يشكو أن الصديق أو الابن قد مات، فهو يشكو أنه كان بشرا. كلنا مرتبطون بمصير واحد. إن من خرج إلى الدنيا فهو لا يمكن أن يُعفى من الخروج منها. ربما يكون المكان مختلفا، ولكن النهاية دائما واحدة، الزمن الذى يسرى بين أول يوم وآخر

يوم، أى من بداية العمر إلى نهايته، غامض ومتغير. إذا أنت
قدّرت بؤس الحياة، فهو طويل، حتى بالنسبة إلى طفل، وإذا
قدّرت الديمومة، فزمنها قصير حتى بالنسبة إلى شيخ^(*).

مريم المجدلية : ذلك لم يواسينى مطلقا ...

سيلانوس : المواساة، يا سيدتى، ليست أن ننكر الألم، بل أن نتعلم كيف نتغلب
عليه.

فى هذه اللحظة، ترتفع من الطرقات ومن الدروب ومن كل
الريف غير المرئى الذى تهيم عليه الشرفة، ضوضاء فى البداية
مكتومة، ومشوشة، والتى تتأكد رويدا رويدا، وتتضح. ضوضاء
لجمع غفير يتشكل ويتسابق، أحجار تتدحرج، صيحات أطفال،
نباح كلاب، نداءات تتميز شيئا فشيئا. "من هنا، من هنا، تعالوا
سريعا ... انزلوا. إلى اليمين! ... إنه هناك! ... إنا نراه! ... يخرج
من المنزل! ... إلى بستان سمعان! ... احملوا إليه المعوقين! ...
رافقوا العميان! ... أسرعوا، أسرعوا، من هنا! يُقال إنه سوف
يتحدث! ... إلخ"

ما هذا؟ ... ماذا يجرى؟

أپيوس : إنهم يهرعون من كل مكان! ...

فيروس : كل الشوارع مزدحمة بالناس الذين يتدافعون كالمجانين.

قيليوس : يبدو عليهم وكأنهم يخرجون من الأحجار!

أپيوس : ماذا يحدث إذن؟ ... إنهم يختفون خلف أشجار الزيتون! ...

قيليوس : ها هما مريضان يُحملان على محفاتها ...

فيروس : ضرير يسقط على الأرض! ...

أپيوس : ماذا ألم بهم؟ هل هم معتوهون؟ ...

(*) سينيكا . Sénèque, Ad Lucilium: Epist.XCIX.

أبيوس : ما هذه الكائنات العجيبة التي تقفز من بين الصخور؟...

سيلانوس : هؤلاء هم الشياطين الذين يخرجون من المقابر...

سيلانوس : ولكن، ماذا بعد، ما الذى يجرى؟...

أبيوس : لقد رأوا الناصرى...

سيلانوس : الناصرى؟... أين هو؟

مريم المجدلية : من المحتمل أنه خرج لتوه من بيت سمعان. كل حركاته مراقبة.

سيلانوس : بمجرد أن يظهر، يحملون إليه المرضى، يتدافع نحوه المريدون...

لا بد وأنه يتجول فى البستان المجاور... (يرهف السمع) فى

الواقع... أستمعون هممة الجمهور الشبيهة بطنين النحل؟ إنه

يقترّب من سياج أشجار الرند عندى...

أبيوس : فلنذهب لنرى...

سيلانوس : لا أنصح بذلك أبدا. أولا، معظم هؤلاء الناس فى غاية الفقر،

وقدزّون إلى أقصى درجة وملمسهم مُنفر وكريه... وثانيا، أنت

تعلم مدى تعصّب اليهود... فى هذه اللحظات من النشوة يصبح

أكثرهم مُسالمة، غاية فى الخطورة، ورؤية الرداء الرومانى

الفضفاض والأسلحة كذلك، يُثيرهم على نحو خاص وفضلاً عن

ذلك نحن نسمع جيدا من هنا ما سوف يحدث... أنصتوا!...

الصيحات تقترب أيضا! وتتضاعف.

فى الواقع كانت تُسمع خلف السياج الذى يُغلق نهاية الحديقة،

صيحات تتعالى وتقترب أكثر فأكثر: "المجد لله!... أيها السيد

المسيح، أيها السيد المسيح، فلترحمنا: أيها المسيح، يا ابن داود،

اشف المريض. يا أيها المسيح! يا أيها المسيح! يا أيها المسيح! يا

يسوع الناصرى، ارحمنى!... تنحوا جانبا!... هدوء... هدوء!...

سوف يتحدث بهذه الكلمات انخفضت الضوضاء على نحو

مفاجئ. صمت لا مثيل له، شاركت فيه على ما يبدو الطيور،

أوراق الشجر، وحتى الهواء الذى نتنفسه، يطبق على الريف بكل ثقله غير الطبيعى، وفى غمرة هذا الهدوء الذى يخضع له كذلك الأشخاص فى الشرفة، يرتفع، فى هيمنة مطلقة على الفضاء المحيط واللحظة الراهنة، صوت لا مثيل له، فيه قوة وحلاوة، فيه شوق ونشوة، فيه نور وحب، بعيد ولكنه قريب من كل القلوب، ومائل فى كل النفوس...

الصوت

"طوبى للبسطاء، لأن مملكة السموات تعينهم"
"طوبى لهؤلاء الذين هم مطيعون لأنهم سوف يمتلكون الأرض".
"طوبى لهؤلاء الذين سيكون، لأنهم سوف يواسون".

إبيوس : ماذا يقول؟...

سيلانوس : أنصت! هذا عجيب ومثير للاهتمام.

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين هم جوعى وعطشى للعدالة، لأنهم سوف يشبعون"
"طوبى للرحماء، لأنهم هم أنفسهم سيُرحمون".

مريم المجدلية : أريد أن أرى!...

تهض وكأن الصوت الرائع يجذبها دون أية مقاومة، تذهب لتتزل درجات سلم الشرفة وتتجه نحو نهاية الحديقة.

سيلانوس : (بصوت منخفض يحاول أن يمنعها) لا تذهبي إلى هناك!

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين قلوبهم طاهرة، لأنهم سوف يقابلون الرب!..."

مريم المجدلية : أريد أن أذهب إلى هناك!...
فـيـروس : سأذهب معك إلى هناك...
مريم المجدلية : كلا! لا أحد!... دعوني! (تنزل نحو السياج كالمسحورة)

الصوت

"طوبى لهؤلاء الذين هم مسالمون، لأنهم سوف يُسمَّون أبناء
الله!..."
"طوبى لهؤلاء الذين يكابدون من الاضطهاد من أجل العدالة، لأن
ملكوت السماوات لهم!"
فـيـروس : إلى أين هي ذاهبة؟...
أبـيـوس : ماذا تفعل؟... إنها لمجنونة!... تحاول أن تمر من خلال
السياج!..."

الصوت

"طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم!..."
"ابتهجوا! كونوا في حبور لأن مكافأتكم كبيرة في السماوات!..."
فـيـروس : لقد فتحت باب الحديقة!... إنها في البستان.
سيلانوس : أحيانا تكون للنساء أفكار لا يفهمها العقلاء أبدا...
فـيـروس : سوف الحق بها، ولو كان لابد من حمايتها ضد هؤلاء...
سيلانوس : لا تفعل شيئا... إنهم منتبهون إلى الصوت ولن يلتفتوا إلى
وجودها بدلاً من رؤيتكم وسماع صليل أسلحتكم... أنصت،
أنصت إلى ما يقوله، فذلك على جانب من الأهمية..."

الصوت

"وأقول لكم، يا من تسمعونني: أحبوا أعداءكم، اعملوا الخير مع
هؤلاء الذين يكرهونكم! باركوا هؤلاء الذين يلعنونكم، صلوا من

أجل هؤلاء الذين يُسيئون إليكم...
"فى هذه اللحظة، ترتفع صيحات محدودة فى البداية، يطلقها
بعض ممن هم من بين الحشد الكبير المتوارى خلف السياج.
نستطيع أن نميز منها بعض الكلمات.
(إنها الرومانية: الرومانية... الزانية... ياللعارا ياللعارا
ياللعارا المجدلية... العاهرة... اطردها... اطردها...) بعد
ذلك مباشرة، تختلط هذه الصيحات بضجة وصخب هائلين واستنكار
حيث لم تكن نتبين أى شىء إلا بصعوبة، بعض كلمات رنانة: (ياللعارا
ياللعارا... ارجموا... ارجموا... حتى الموت... حتى الموت...
الحجارة... إلخ) كل ذلك تصحبه ضوضاء، هروب، خطوات تتسارع،
عصى وحصوات تصطدم ببعضها، وفروع شجر تتكسر، ... إلخ.

سيلانوس : لقد شاهدوها...

فيروس : ما هذا إذن؟... أهى التى يريدون الفتك بها؟

سيلانوس : هذا هو ما كنت أخشاه... فلنتوخ الحذر...

فيروس : (يسارع نحو نهاية الحديقة) من هنا... اتبعونى... أبيوس!

قيليوس! سيوفكم!...

فى الوقت نفسه الذى يهرعون فيه، هُدم سياج الرند من كل جهة بواسطة
الحشد النائر والذى يُعبّر عن استيائه بحركات كثيرة وهو يطارد مريم
المجدلية، التى كانت مرعوبة، وتحاول الوصول إلى الشرفة. فيروس
وصديقه يركضون نحوها لحمايتها من الغوغاء. الأحجار تتطاير، فيروس
متقدما الآخرين، يستل سيفه. فى الوقت الذى بدا فيه أن الصراع سوف
يحتدم وقد بدأت بالفعل تتكسر فروع الشجر، ويتهاوى تمثال... إلخ،
فجأة، تُدوى صيحة تحت أشجار الزيتون المجاورة، وأكثر قربا من ذى قبل،
صيحة هائلة بالصوت العجيب. عندئذ توقف كل شىء، خيم عليهم جميعا
ذهول عميق. تسمع كلمة أمرة يتناقلونها: "صمتا، صمتا... أنصتوا!... إنه

يتكلم! سوف يتكلم!... المعلم يشير بعلامة!... أنصتوا! أنصتوا!... حينئذ،
فى أعماق هذا الصمت الذى خيم فجأة، يرتفع الصوت الرائع، هادنا قويا،
عميقا، لا يقاوم.

الصوت

"من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر!..."
عندئذ يُسمع صوت ارتطام الأحجار وهى تسقط على الأرض، الجمع
الغفير يموج، يتحير، ويختفى شيئا فشيئا، فى صمت، من خلال السياج.
يتقدم فيروس ليسانند مريم المجدلية التى تتوقف وتظل ساكنة بلا حراك،
فى وسط الممر... بحركة عنيفة ترفض العون الممدود لها، تحنق ببصرها
إلى الأمام، وحيدة بين الآخرين، الذين يتفحصونها، دون أن يفهموها، وهى
ترتقى درج الشرفة بصعوبة.

سسستار

الفصل الثانى

قاعة كبيرة خلف ساحة فيلا مريم المجدلية، فى بيت عنيا. فى العمق، على التوالى، الساحة وممر طويل بأعمدة من المرمر.

المشهد الأول

مريم المجدلية، لوقيوس فيروس.

يدخل لوقيوس فيروس، المجدلية تجرى صويهِ وترتمى بين احضانه.
مريم المجدلية : ها أنتَ ذا، أخيراً، فيروس!... ها قد مرت ثلاثة أيام وأنا أنتظرِكَ، ثلاثة أيام وأنا أناديكَ وأنى لأسأل نفسى عما إذا كان حقيقياً الجمال الذى يصفونى به، والذى شهرته لم تجلب على سوى الحسرات، والنفور، فهو غير قادر على أن ينتصر عندما يتعلق الأمر فى النهاية بالسعادة التى من حق كل امرأة أن تتمناها فى الحياة...
فيروس : لست أدري إذا كان فى مقدورى أن أهبك السعادة التى تستحقينها يا مجدلية، ولكن اعلمى جيداً أن جمالك لم يجلب لك سوى انتصاراً كاملاً...

مريم المجدلية : فيم يهمنى حاليا انتصاره؟... إنها أنا التى منيت بالهزيمة مسبقا، دون أن أجرؤ على أن أقول ذلك لنفسى، ودون أن أستطيع إخفاءه على طبيعتى اللامبالية التى اكتسبتها بطريقة غير لائقة، على غرورى الذى لم يكن قط سوى التاج المشين لعارى!... لكن لماذا جعلتك تنتظر كثيرا! اعتقدت أن الكل هجرنى وتخلى عنى وأن كل شيء قد ضاع بسبب الكلام الشنيع الذى كنت قد قلته عند سيلانوس الطيب، والذى لم يكن حقيقيا، لم يكن سوى كذبا أعمق من أكاذيبى الأخرى، لأنى كنت حمقاء، لم أكن أعلم، أننى لم أكن أريد سعادة مستحيلة...

فيروس : تعلمين جيدا يا مجدلية، أننى لم أعتقد قط أنك كنت تشبهين تلك التى كنت تُصورينها... ولكن الآن كذلك أنا لا أجرؤ على الاعتقاد فى سعادة تُقدم... إننى منبهر وعاجز عن تبين الأمر، إنى أشك، مُتَحير... أنا لا أتعرف على الصوت الذى كان يدفعنى دائما وبشدة بعيدا عنه.

مريم المجدلية : بين ذراعى فيروس. إنه ليس الصوت نفسه، وليس نفس الروح...

فيروس : ومع ذلك، فأنت التى احتضنها بين ذراعى، وأنت بصفاتك كاملة، التى طالما كنت أنشدها!... إنى ما زلت أتساءل عما إذا كان كل شيء حقا واقعيا، وأن كل شيء ممكن بحق، وأنك لا تستخفين بسعادة فى غاية الصدق سرعان ما سوف تطرحينها بين هؤلاء الذين يُحطمهم الجمال الذى يُعانى... بل كلا، عندما أسأل، عندما أتابع نظراتك التى تغوص فى أعماق نظراتى، أرى أن ذلك حقيقى، أن ذلك كان دائما حقيقيا...

مريم المجدلية : أجل، هذا حقيقى، حقيقى، وكان دوما حقيقيا... كنت أجهل ذلك، كنت أبحث عن ذاتى دون جدوى، وكنت أجهل حقيقتى حتى

أيام القلق هذه... لم أكن أريد أن أرى أنك كنت تأتي إلى وأن كل شيء في أعماقي كان بانتظارك... ومع ذلك، كان لزاما علي أن أعرف ذلك.. أنفا، في أنطاكية، هل تتذكر، يا فيروس، كم كنت أتهرب منك؟... كنت أستقبل آخرين كثيرين، وأنت الوحيد الأكثر جمالا، والأكثر نقاءً، كنت أريد أن أتجاهلك، أن أمحوك تماما، وأن أطفئ عليك وأدمرك، وأسقط مكانتك من نفسي... وبمجرد ظهورك، كنت أعود كدابة جفولة وشرسة إلى أعماق عرينها، وكذلك في ذاك اليوم، عند سيلانوس الطيب، أحسست بالشر كله، والقسوة كلها، وكل اليأس الذي يكمن في قرارة نفسي يصعد إلى شفتي... ولكن الآن، أترى، لم أعد تلك التي كنت عليها، لم أعد أتعرف على نفسي وذلك لأنني وجدت هذه النفس... كل ما كان يقاوم في أعماقي قد انقصر ولم أعد أفهم نفسي، ولم أكن أعرف أن السعادة شيء بمثل هذه الغرابة... أنا التي لم أبك مطلقا في أسوأ الحالات شدة اليوم أنتحب لأنني سأكون سعيدة... أنا واضحة وأشعر بالخفة ورغما عن ذلك فإنني مُحطمة أكثر مما لو كانت كل الأحزان التي تسبح في السماوات توشك أن تنقض علي... (تحتضنه بوجه أكبر) ساعدني يا فيروس، امنحني حبك، ساندني، أنت يامن لا يُهدده شيء، أنت الذي ليس هناك ما تخشاه!...

فيروس : ولكن ماذا حدث؟ هل تجرأ أحد ما أثناء غيابي؟...

مريم المجدلية : كلا، كلا، لا أحد، وليس ذلك ما أقصده، وأنا شخصا أجهل الخطر المحقق بي... ولكن ليس لدى ملجأ سوى ذراعيك، وإنني لأشعر بالضيق إذا أنا فقدتك أيضا... خذني، ضمنى إلى هذا القلب الذي استمع إليه، بعيدا عني، بعيدا عن هنا، وبعيدا عن سامي وقلقي... أنت الوحيد الذي يستطيع أن ينقذني، ولا أحيا

إلا الحياة التى يمدنى بها.. ولكن لماذا تركتني وقتا طويلا جدا
مع أحزاني، لماذا لم تأت إلا بعد اليوم الثالث، تركتني هكذا دون
كلمة مواساة واحدة، دون أية بادرة أمل؟..

فيروس : أنت مخطئة، يا مجدلية، أو أن خدمك لم يقولوا لك الحقيقة...
فمنذ اليوم التالي للقائنا عند سيلانوس، جئت إلى بيت عنيا
لكي أخبرك بأن الوالى قد أرسلنى فجأة، لقمع عصيان عجيب،
على رأس فرقة، وكان هذا العصيان قد انفجر فى ضواحي
أريحا. ولم يسمح لى خدمك الذين يحرسون الباب بأن أقابلك
وأجابونى على نحو لم يتح لى أن ألح فى لقائك... فهمت أنهم
ينفذون أوامر محددة وحازمة بحيث لا ينبغي مخالفتها...

مريم المجدلية : هذا صحيح... لم أعد أعرف... كنت فى حالة نفسية يُرثى لها
ومُنهكة، ما كنتُ قادرة على التفكير أو الرغبة أو حتى أن أسمع
أى شئ، كان يُهَيأ لى دائما بأنى أقاوم هذا الحشد الهائل
المخيف فى حديقة سمعان حيث كنت أستصرخ ولكن دون جدوى،
ذلك الذى كان قد خَلَصَنى... لقد تغلى عني هو أيضا... وكنت
قد طلبت البحث عنه ولكن بلا أمل. لم يستطع أحد أن يخبرنى
أين اختفى. ألم تره ثانية؟ ألا تعرف أين هو؟...

فيروس : من؟....

مريم المجدلية : الناصرى...

فيروس : علينا ألا نتحدث عن هذا الشقى، إن ساعاته معدودة...

مريم المجدلية : ساعاته محدودة؟... ماذا تعنى بذلك؟...

فيروس : لا يهم ذلك، لا يهمنا، وحاليا لن نهتم بما لا يخص حُبنا، لأنه
من الرائع أن نرى أفكار هؤلاء الذين يتحابون تتلاقى وتتدمج
بالرغم من البعد والكلام الذى يُسبىء إليها. أليس مما يؤثر
الدهشة أنه بعد أن تركتك عند سيلانوس حيث سمعت كلاما

كان كفيلا بأن ينتزع منى كل أمل، أحسست للمرة الأولى، بأن سعادتنا الشابة فى ذروة قوتها وثباتها وبقينها تنمو وتفتح؟ بينما كنت تناديني، كنتُ أنا أناديك أيضا بكل ما أوتيت من قوة، من أعماق قلبي. إن ما أبعدنى عنك هو واجب جدير بجندى، لأن هذه الحملة على أريحا، هى آخر الحملات التى سأقوم بها بلا شك، كانت شبه مقيمة وتدعو للسخرية فى معظم الأحيان... كنت أحصى بكل هوس الدقائق التى سلبت حياتنا الجديدة التى بدأت آنفا فى نفس لا تخشى أى سبب من أسباب تخوفى...

مريم المجدلية : إنها لن تبدأ حقا إلا عندما سنكون بعيدين عن هذه الأرض حيث أختنق، حيث كل شىء مظلّم ويهدد السعادة، حيث لم أعد أستطيع الاستمرار فى الحياة... أرجوك يا فيروس، إذا كنت تحبني كما أحبك، فلنسرع، لنترك كل شىء، ليس هناك وقت بعد لنضيجه...

فيروس : أنت على حق، إنه ليس متوقعا من بين هذه الصخور المشئومة، والتى تنمو من بينها رائحة الموت والجنون أن تتولد البهجة التى طال انتظارها... ومع ذلك، هنا أيضا، كانت تتلاقى أفكارنا قبل كلماتنا... أنا أيضا مثلك قررت أن أترك هذا البلد المكروه حيث تُستغل بالفعل طاعتي وولائي... إننى تحت أمر الوالى، ولكننى لست مطلقا رهنا للخدمة المقيمة لهؤلاء الرهبان اليهود، ولا لهذا الشعب الغادر وغير المحتمل والذى هزمه جنودى التابعون للفيلق العريق، لقد فاض بى الكيل من هذه الحياة المبهمة. بداية من هذا المساء سأجد ذريعة لأتملص من أمر ينبغي على أن أنفذه اليوم والذى أعرف جيدا أصله... وإذا اتضح أن الذريعة ليست كافية، فعلى قايف وحنان(*) أن يقوم بإخطار القيصر. لا شىء

(*) حنان كان رئيس الكهنة وقايف كان حماه. (المترجم)

يضاهى قوة حبنا أو يستطيع اعتراضه، والعملية التى ليست مدعاة للفخر والتى من المزمع أن يكلفونى بها أكره أن أقوم بها لاسيما وأنها يبدو أنه ولا بد أن تتم أمامك...

مريم المجدلية : أمامى؟ ... بم يتعلق الأمر؟..

فيروس : عن أمر لا يهمك، علينا ألا نفكر إلا فى تملّص وهروب موفق من هنا...

مريم المجدلية : أعلم أن هناك خطرا يتهدهده...

فيروس : عمّن نتحدثين؟

مريم المجدلية : يستحيل، بعد كل ما فعله، أن تصبح أنت الأداة لألد أعدائه... فأنت تدين له بحياتى وربما بسعادتنا... ماذا يريدون منه؟ وما الأوامر التى تلقيتها بشأنه؟

فيروس : إننى مكلف باعتقاله قبل هذا المساء وكذلك زعماء مجموعته الأساسيين. فى مواجهة مرضى ومتسولين يُعد الأمر عملية شرطة مُتدنية وحقيرة، حتى إنه لم يسبق أن كُلف بأدائها الجنود من قبل... فهى لن تكون. دعينا لا نتحدث عنها...

مريم المجدلية : ولكن لماذا يعتقلونه، ماذا فعل؟ ما الاتهام الموجه إليه؟... إنه برىء، إنى أعرف ذلك، وعلى كل، يكفى رؤيته لفهمهم... فهو يُنبئ عن سعادة لم نتذوق مثيلا لها من قبل، وجميع المقربين منه سعداء كما يبدو، وكأنهم أطفال يستيقظون نوا من سباتهم... أنا شخصيا، التى لم أره سوى لمجرد لحظة، بين أشجار الزيتون، أحسست بأن البهجة استيقظت فى نفسى، نوعا من النور قد استحوز على أفكارى... إنه لم يُثبت نظره على عيني سوى لحظة واحدة، وهذه تكفينى من أجل ما تبقى من حياتى. كنت أعلم أنه تعرّف علىّ دون أن يرانى من قبل أبدا... كان يبدو لى أنه اختارنى بكل اهتمام وقوة، إلى الأبد...

فيروس : ماذا يعنى ذلك؟ أنتحدثين عنه؟ ماذا حدث؟... هل رأيته مرة أخرى؟... "غير أنه قيل لى أنه كان متآمرا، مستعدا لعمل أى شىء، ولكنى ما كنت لأصدق أنه ستواتيه الجرأة على ذلك..."

مريم المجدلية : لم تكن لديه الجرأة... أنا لم أره مرة أخرى، ولن أراه ثانية بما أننا سوف نرحل لكى لا نكون سوى اثنتين...

فيروس : (وهو يضمها بقوة أكثر) لكى لا نكون إلا واحدا، يا مجدلية، على أرض أكثر سعادة حيث كل شىء يحدث على الاستمتاع بالنعم، تبسم لهؤلاء الذين يحبون بعضهم وباركون الجمال...

مريم المجدلية : (تنفجر منتحبة باختلاجات عصبية على صدر فيروس) أنا أحبك... اعلم ذلك... أريد أن أهرب، أريد أن أهرب مما لا أزال أجهل...

فيروس : هيا، إنى أعرف هذه الدموع التى تفيض فى آن واحد من قلبنا المزدوج وبهجتنا الوحيدة... ولكن ها هى تتقدم بين أعمدة الرواق أجمل الزينات لروما الجميلة التى سوف ندهشها بحبنا... أنا لا أخطئ أبدا، إنه سيلانوس الطيب يتبعه أيبوس المخلص اللذان ينزلان على الدرج الرخامى، تقودهما الآلهة الخالدة، حتى يُخلدا بحضورهما الأخوى الابتسامات الأولى لسعادة وُلدت أمام عيونهما...

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم، سيلانوس، أبيوس

سيلانوس : كان مُقدرا لى ومكتوبا على أنه فى مثل هذا اليوم المتميز سوف أشاهد مليا حدثين عجيبين واللذين ليس أيسرهما هو أن أرى حبيبين، بمثل هذه السرعة غير المتوقعة، كانا، وفقاً لما يُؤثر قديما عن الحب، يُصران على أن يتجنب بعضهما . بينما هما فى أعماقهما يحترقان شوقا إلى التلاقى.

أبيوس : باسم ميتروودور، هيرماكوس وزينون! حقا إن الأمر يتعلق بسعادة كانت مُقدرة بدرجة أكثر مما ينبغى لحبيبين يُنهيان خلافاتهما... أخبرهما حالا، مُعلننا لهما بملء فيك ومن أعماق نفسك ما حدث منذ قليل: لم يعد للموت وجود، القبور سوف تنفتح، وأرواح الموتى تنتشر، الأرياب تزعزعت، جميع شرائع الكون ارتكست!... لقد أدهشتنا للتو ظاهرة فريدة لا تمحى، لم يسبق أن رأينا لها مثيلا، منذ أن أشرقت الشمس على وجه البسيطة والتي لن نراها مرة أخرى حتى موت الأرياب!...

سيلانوس : بقدر ما بدا لك غير عادى، أبيوس، بقدر ما عليه ألا يؤثر على استقرار نفسك وروحك أو يزعزع ثباتها مادامت الظاهرة لن

تتكرر ولن نراها مرة أخرى فإنها لن تستطيع أن تؤثر على
قوانين الكون، ولا على استقرار الأرياب!...

هيروس : إذًا، ماذا حدث؟ لكأن أبيوس كان مرتعا لحماس أشد حمية عما
اعتدناه، وأنت شخصيا يا أستاذي الطيب، بالرغم من روحك
السوية...

أبيوس : حدث ما يلي، لقد أحيا أحد الأموات(*)!...

مريم المجدلية : من؟

سيلانوس : الناصري والذي جثت، كما وعدتك من قبل، لأنبيئك بعودته.

مريم المجدلية : هو عاد؟ منذ متى؟ أين هو؟ رأيته ثانية؟

سيلانوس : لكى أرد على أسئلتك بالترتيب، يا سيدتى، أقول لك إنه عاد هذا
الصباح وإنى رأيته بعينى، وإنه فى هذا الوقت موجود عند جارى
سمعان الأبرص. علاوة على ذلك، إن ما يدهبنى أن الهيجان
الذى أثار البلد منذ ساعتين أو ثلاث ساعات لم ينتشر قط حتى
هنا. حقيقة أن مسكنك منفصل عن المكان الذى فيه يختفى
القبر فى تل عال بين غابات من أشجار الزيتون.

مريم المجدلية : أنا لم أسمع شيئا، لم يخبرنى أى أحد بأى شىء.. بالرغم من
أوامرى، لم يخبرنى أحد.. ولكن فى النهاية، ماذا إذًا؟.. أبيوس
شاحب. ماذا قال، ماذا فعل؟...

أبيوس : لقد فعل شيئا لم يفعله أى إنسان أو أى رب(**) حتى الآن، شيئا
ما كنت لأصدقه حتى ولو أن عشرة آلاف شاهد كانوا قد جاءوا
ليؤكدوه باسم الخالدين(***)، والذى أصدقه بقدر ما ينبغى على
أن أصدق وجودى الحقيقى، حيث إننى قد رأيته بعينى، كما

(*) إنجيل يوحنا، ١١، ٢٨ - ٤٤. (المترجم)

(**) المقصود أي رب من أرياب الأساطير التى يؤمن الرومان بها. (المترجم)

(***) أرياب الوشيين. (المترجم)

أراكم هنا، ولسته بالكاد بيدي مثلما ألمس هذه المزهريّة. لقد قال: "أنهض، اخرج وامش". والميت نهض وخرج وبدأ يمشي بيننا!...

فيروس : حسب الظاهر أنه كان أحد الأموات الذي لا تبقى له صحته مجالا للرجية أو التمني؟...

سيلانوس : كلا، أنا مقتنع بأنه كان ميتا!

أبيوس : حقيقة، كان ميتا مخيفا... وإلا ما كانت حواسي تستطيع أن تؤكد أن الشمس تسطع في الأفق وأن الجسم البشري يتحلل!... لقد كان في القبر منذ أربعة أيام!...

مريم المجدلية : ولكن من؟ كيف؟ أين إذا؟... والناصرى؟... أريد أن أعرف... تحدث بدلا منه، ياسيلانوس، إنه لا يتحكم في حواسه...

سيلانوس : إليكم ما حدث في كلمات مقتضبة. مع ذلك يجدر بي أن أقول لكم إنني لا أشارك أبيوس كلية في دهشته. ما كان لينبغي علينا أن نتعجب كثيرا من رؤية أحد الأموات يعود إلى الحياة، كما نرى طفلا يصل إليها، أي يولد، أو رؤية شيخ يخرج منها، أي يموت. (تصدر من مريم المجدلية حركة تدل على نفاذ الصبر). لكنني أفهم لهفتك لتعرفي. تحدثت إليكم في اليوم السابق، عن جاري سمعان، فهو يعيش في منزل صغير بجوار ضيعتي، يعيش مع زوجته، وأخته وزوج أخته، يدعى ليعازر، ليعازر هذا، الذي لم أراه سوى مرتين أو ثلاث، لأنه كان كثير الغياب، كان مريضا منذ بضعة أسابيع، ثم توفي منذ أربعة أيام.

أبيوس : أربعة أيام، أنت متفهم جيدا لما أقوله؟... وذلك ما لا يجرؤ أي أحد على أن يعارضه...

سيلانوس : كذلك ما من أحد يفكر في ذلك يا أبيوس. كانت العائلة متحدة جدا وألم هؤلاء المساكين كان عظيما، من شرفتي، كنت أستمع

إلى نواح النساء. وفقا إلى عادة اليهود، دفنوا ليعازر فى الليلة نفسها التى أعقبت وفاته. دُفن فى قبر جديد، محفور فى الصخور التى يتكون منها منحدر التل فى الجهة الأخرى، وأغلق القبر بحجر ضخّم. هذا الصباح فجأة، انتشرت شائعات بأن الناصرى كان قد عاد، وأنه سوف يُعيد الحياة إلى الميت الذى كان صديقه. أپيوس الذى كان موجودا عندى، أقنعنى بالنزول، وتتبعنا الجماهير الغفيرة فى وادى القبور.

مريم المجدلية : كنت أعلم أنه ينبغى أن يعود اليوم، ولكن لماذا لم تخبرنى توا لحظة حضوره، كما وعدتّى؟

سيلانوس : لقد رأيت أن المشهد الذى كان على وشك الحدوث لن يكون أبدا من تلك المشاهدة الجديرة بأن تتسلط عليها أنظار امرأة فى جمالك. وعلاوة على ذلك، وكان مما يُخشى أن وصولك بين هؤلاء الجماهير النائرة يُجدّد أعمال العنف مرة أخرى، كما حدث فى اليوم السابق. لأن جمهورا غفيرا، هادئا، وإن كان يرتجف ويطن كطنين الزنابير فى أعشاشها، كان يحرس الناصرى الذى كانت تتقدمه الأختان شقيقتا ليعازر. تسلقنا، أنا وأپيوس منطقة جبلية، مختبئين خلف أكمة، من حيث نستطيع أن نرى كل شىء، ونسمع كل شىء دون أن نثير شكوك اليهود. كانوا يُشيرون إلى القبر للناصرى الذى توقف عنده ثم أحنى رأسه.

أپيوس : بكى. دار الهمس بين الحشد: "انظروا كم كان يحبه" ولكن ما من أحد اجتراً على أن يتقدم أو يقترب. صنعوا حلقة على بُعد، كأنهم حُول إنسان مخيف...

سيلانوس : قال الناصرى: "ارفعوا الحجر"، فاندفع رجلان نحو القبر.

أپيوس : أنت نسيت أنه فى هذه اللحظة، إحدى شقيقات الميت كان يبدو عليها القلق وتذرف الدمع، أمسكت بذراع الناصرى وقالت: "أيها

السيد المسيح، قد يكون أنتن، لأنه هنا منذ أربعة أيام! أجاب
الناصرى وأنا لم أنس ولا كلمة من كلامه: ألم أقل لكم إذا كنتم
تؤمنون، فسوف ترون عظمة الله؟ ارفعوا الحجر!...

مريم المجدلية : من هى أخت ليعازر تلك؟ هى زوجة سمعان؟
سيلانوس : كلا، إنها الأخرى، التى تسمى مريم، والتى منذ أن أقامت فى
بيت عنيا، لم تفارق الناصرى قط.

مريم المجدلية: هل هى شابة؟
سيلانوس : إنها أصغر من زوجة سمعان...
مريم المجدلية : هل رأيته؟ أتعرفها؟...

سيلانوس : تحدثت إليها أكثر من مرة. ولكن نعود مرة أخرى إلى الحجر
الذى كان ضخما، مُسطحا وراسخا فى الجدار، الرجلان حاولا
رفعه بواسطة رافعة. كان صعبا فى البداية، بعد ذلك رُفع كتلة
واحدة...

إبيسوس : كنا قريبين جدا، منحدرين فى خط متعرج إلى القبر. أقسم
بجميع الآلهة الذين يحكمون الأرض من السماء، بأنه فى هذه
اللحظة، شعرت بقوة بأنفاس الموت المخيفة تلفح وجهى!...
مريم المجدلية : هل رأيت الميت؟...

إبيسوس : كما أراك، يا سيدتى!...
فيروس : أنا لم أكن أعلم أنك تهتمين بهذه الأمور التى تجرى فى عالم
غامض ومجنون، حيث كل شىء مسحور أو يعتمد على السحر،
خدع عقيمة وأكاذيب بدائية...

إبيسوس : أقسم "بحادس وبيرسيثون"! إن ما تراه حواسنا ليس به شىء
خادع، لقد استجبت لها!... كدنا أن ننكفئ على ظهورنا من شدة
ما أصابنا من ذهول!... الجثة كانت هناك، تحت الضوء الساطع
الذى ينفذ إلى القبر، مُمددة كالتمثال الذى لا حياة له، متصلبة،

مكتنزة، ملفوفة. بشرائط، والوجه مغطى بكفن. الحشد، المكسد
فى نصف حلقة لم يستطع أن يقاوم المشهد فتارة ينجذب نحوه
وتارة يتراجع وينحنى ويمد رقابه العديدة، دون أن يجرؤ على
الاقتراب. الناصرى بمفرده وقف فى المقدمة. رفع يده، وقال
بعض كلمات لم أدرك معناها، ثم صاح بصوت لن أنسى أبدا
قوته الأخاذة، مخاطبا الجنة: يا "ليعازر، اخرج!"

مريم المجدلية : وهل خرج؟...

أبيوس : لم نسمع سوى عصف الرياح التى حركت ملابس الحشد الكبير،
وطنين الذباب الذى غزا القبر، كل الأنظار كانت شاخصة
ومُسَلطة بقوة نحو الجنة إلى حد أننى رأيتها وكأنها أشعة ثابتة
مثلما نرى أشعة الشمس فى غرفة مظلمة... فجأة، أصبح ذلك
واضحا، مخيفا، فوق قدرة البشر! الميت، مُلبيا النداء تهيأ
للاعتدال ببطء، ومزق الشرائط التى كانت ملفوفة على ساقيه،
اعتدل واقفا، كتمثال، أبيض، موثوق الذراعين، والرأس مغطاة
وبخطوات قصيرة متناقلة، مسترشدا بالضوء، خرج من القبر.
الحشد تقهقر خائفا لمسافة دون أن يصرف نظره فقال لهم
الناصرى: "حلوا وثاقه ودعوه يمر". شقيقتا الميت، انفصلتا عن
الحشد، وسارعتا نحو أخيهما.

مريم المجدلية : وماذا عنه هو؟...

أبيوس : كان يترنج ويتعثر فى كل خطوة...

مريم المجدلية : بل الناصرى؟

أبيوس : ابتعد، ولم يقل أى شىء واختفى فى منزل سمعان.

فيروس : والميت، كيف كان حاله؟...

أبيوس : الأختان ظلتا مذهولتين، لا تفكران فى أى شىء، لا تلويان على
شىء، تتحسسان الكفن والشرائط وتقطعانها، ثم سندتا الميت

وساعدته على السير، واقتادته إلى المنزل نفسه. لم يجرؤ الحشد على أن يتبعوهم إلا بالنظرات، لم يتفوه أحد بأية كلمة، والأختان بدورهما أيضا لم تتحدثا إلى الميت.

مريم المجدلية : والناصرى؟ هل رآه أحد مرة أخرى؟...

سيلانوس : لم يخرج بعد ذلك من عند سمعان. الحشد المضطرب كان ينتظر فى البستان وفى الطرقات، لأنه بعد الدقائق الأولى الطويلة من الدهول حدث رد الفعل وساد الاطمئنان...

أبيوس : لقد كان ذلك شيئا خارقا، أشبه بالمعجزة ذاتها فى البداية ابتهاج مكبوت مشوش وشبه صامت، بدأ بهممة سرى وتقلت بين أفراد الحشد. ثم كما لو أن الحقيقة قد انفجرت فجأة تحت السماوات كانت لحظة النشوة التى لا توصف والتى تملك الحشد الهائل وهنا تحول ذلك حينئذ إلى صيحات ليس من السهل التعرف عليها أو تبينها بوضوح، النساء، الأطفال وخاصة الشيوخ، يهللون بجنون. سوف يتسنى لنا القول بأنهم وطؤوا بأقدامهم الموت الذى هزمه واحد من الخالدين وطرحه أرضا للمرة الأولى منذ أن وجد الإنسان وفى هذه اللحظة أيضا، فى كل المنطقة التى تجاور المقابر، ما تدفق كان حماسا خارقا وخطيرا، وباسم هيرقل! إذا كنا قد نجونا منه دون خسائر، فلن أنصح ألد أعدائى بأن يجازف وينخرط فى هذه المناطق بالرداء الرومانى الفضفاض والأسلحة الرومانية.

فيروس : هل هذا كل شيء؟

أبيوس : ماذا تريد أكثر من ذلك؟

فيروس : كنت أريد أن أعرف ما يثبته كل ذلك.

أبيوس : ذلك يثبت أن هذا الرجل الذى قهر الموت، والذى حتى الآن انتصر على العالم، هو أكبر منا جميعا ومن أربابنا. يتعين علينا

أن نستمع إلى ما يريد أن يقوله لنا وأن نكيّف حياتنا عليه.
سيلاَنوس : أنا سأكيّف حياتي عليه، يا أبيوس، إذا كان ما يُعلمني إياه أفضل مما تعلمته إن إيقاظ أحد الأموات، من ظلمات قبره إن كان يوضح لنا أنه يمتلك قدرة تفوق قدرة معلمينا، فإنه لا يؤكد أنه - يمتلك أبداً حكمة أكبر من حكمتهم. فلننتظر كل شيء بروح سوية. ليس من الصعب، حتى على طفل صغير، أن يميز، في الكلام، ما يزيد أو ينقص من حُب الفضيلة. لو استطاع أن يُقنعني بأن تصرفاتي كانت سيئة حتى الآن، فسوف أصححها، لأنني لا أبحث سوى عن الحقيقة، ولكن إذا استيقظ جميع الأموات الذين تزدحم بهم هذه الأودية، من قبورهم لكي يؤكدوا، باسمه، حقيقة أسمى من تلك التي أعرفها، فلن أصدقهم البتة. أن يستيقظ الموتى أو يناموا، فهم لن يجذبوا فكري إلا إذا علموني أن أعدّل من نمط حياتي إلى الأفضل.

مريم المجدلية : مرتجفة. - أنصت!...

فـيـروس : ما هذا؟...

أبيوس : أسمع دحرجة أحجار...

فـيـروس : بل قل، مهمة حشدٍ ما...

مريم المجدلية : إنه قادم!...

أبيوس، يذهب نحو أعمدة المقدمة في الرواق. من هنا هيمن من

أعلى على حائط سياج الفناء الأول... إنني أراهم!...

مريم المجدلية : شاحبة ترتجف، تتقدم بضع خطوات نحو الساحة، وتنظر إلى

بعيد. نعم...

فـيـروس : تحيط بهم سحابة من الغبار... يبلغ عددهم ألفين أو ثلاثة يتكتلون

عند المدخل... أعتقد أن هؤلاء هم الذين كانوا عند القبر...

فـيـروس : لن تواتيهم الجراحة!...

مريم المجدلية : فيروس !...

أبيوس : لا تخشى شيئاً، يا مجدلية، هذه المرة أنا بمفردى سأدافع عنك...

أبيوس : إنهم يتبعون من مسافة رجالا يرتدى ملابس بيضاء، يدخل إلى الساحة...

فيروس : إذاً، ماذا يصنع البواب عند السياج الأول؟ ألم يوقفه؟...

أبيوس : بلى... ها هو يقترب... ماذا يفعل؟... وكأنما هو خائف... لقد توقف فجأة وتركه يمر دون أن يقول شيئاً...

فيروس : والآخرون يتبعونه... دخلوا الساحة الثانية. إن وقاحة هؤلاء اليهود حقيقة لا تُصدق... حتى أثناء أعياد رُحل، فى روما، لا يُسمح للجمهور أن يأتى هكذا يغزو... ماذا يصنع العبيد إذن؟...

مريم المجدلية : إنه هو؟...

سيلانوس : من؟..

مريم المجدلية : الناصرى؟...

سيلانوس : لا أعتقد ذلك... ليست تلك مشيته. على الأرجح إن هذا...

أبيوس : ها هو فى ممر أشجار البلاتان..

سيلانوس : إنه يتجه نحونا مباشرة...

فيروس : لقد سلك الطريق الأقصر. صعد الدرج تحت عريشة نبات البقس. يبدو وكأنه فى داره... من حسن الحظ أن العبيد يسارعون نحوه من كل جهة ليسدوا عليه مدخل الرواق...

مريم المجدلية : أصمت، أرجوك!...

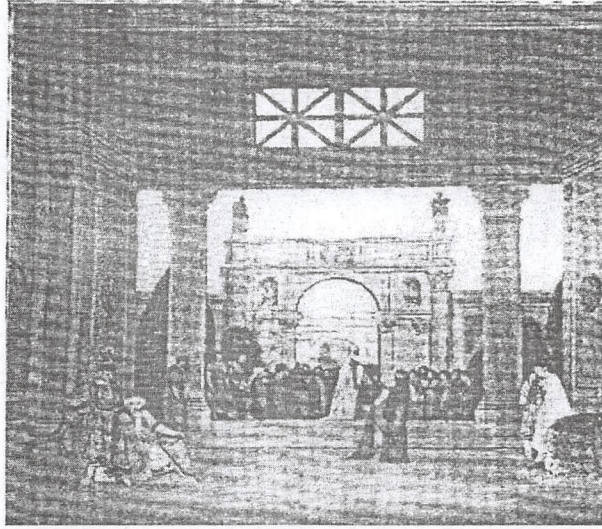
فيروس : ماذا بك؟...

أبيوس : إنه يتقدم، إنه شاحب بطريقة تبعث على الخوف...

سيلانوس : أعتقد أن هذا...

مريم المجدلية : من؟...

سيلانوس : الآخر... ذاك الذى أخرجه من...
مريم المجدلية : ليعازر؟...
سيلانوس : نعم، أنا أعرفه...
فيروس : ماذا يريد منا؟ إن الأشباح لا تُطلق هكذا فى وضح النهار!... إنه
مخيف!..
مريم المجدلية : بل، صه! صه!.. ويعد!..
سيلانوس : ها هو ذا...



مريم المجدلية، قيروس، سيلانوس، أپيوس.
ليعاذر (إلى مريم المجدلية): "أقبل، المعلم يريدك".

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم، ليعازر

فى نهاية الرواق، العبيد. وعلى بُعد، على الأرجح الحشد اليهودى، تخميناً وليس يقيناً. صمت مطبق. نرى فى نهاية الرواق، ليعازر يتقدم ببطء لا يرى شيئاً مما يحيط به. عبيد القيلا، يهرعون بين الأعمدة الأخيرة، يتجمعون لحظة كأنهم يسدون أمامه الممر. ولكن عند اقتراب ذلك الذى بعث من قبره الذى كان يبدو عليه أنه لا يشعر بوجودهم، كانوا يتباعدون بكل هدوء الواحد منهم تلو الآخر. يدخل ليعازر من آخر الساحة، يتوقف عند العتبة التى تعلو بمقدار ثلاث درجات. مريم المجدلية تتقهقر حتى أحد الأعمدة بالصف الأول حيث تستند عليه. وقد أصابها إعياء شديد، ولكن فيروس، خارقاً هذا الصمت، يقترب من ليعازر، ويده على مقبض سيفه.

فيروس : بصوت كله قسوة. من أنت؟... (لم يُجب ليعازر)، أنت لا تجيب؟.. فى الواقع من السهل أن نخفى بالصمت ما لا نجرؤ على الاعتراف به. ولكن إذا لم يكن لديك شيء تقوله لنا، فإنك لا داع لوجودك هنا! ومن حسن حظك أن شفقتى تتغلب على ازدرائى. انصرف!

صمت جديد وعميق

ليعاذر : بصوت كأنه لم يصبح آدميا بعد، مخاطبا مريم المجدلية. أقبلي، المعلم يريدك..

مريم المجدلية تترك العمود الذي كانت تستند عليه ولكي تقترب من ليعاذر، تخطو أربع أو خمس خطوات وكأنها تمشي وهي نائمة.

فيروس : يعترض طريقها.. إلى أين أنت ذاهبة؟...

مريم المجدلية : كما لو أنها قد أفاقت بصعوبة وبصوت مختنق، مترددة، وهي تبذل جهدا لكي تستعيد ثباتها، دون جدوى.. أينما يريدني أن...

فيروس : كلا، ما دمت أنا هنا!...

مريم المجدلية : ملقية بنفسها بين ذراعي فيروس وهي تختلج.. فيروس!...

فيروس : يضمها بقوة لا تخافى لا شيء سيصيبك وأنت بين هذين الذراعين اللذين يحتويانك. إن جنون هذه الأرض يبدو مُعديا أكثر من طاعونها، ولاصقا أكثر من برصها، ولكن العقل الروماني لا يترنح مثل العقول الأخرى من أول نفس مُقزز ينبعث من أحد القبور. نحن سوف نحسم الأمر.. (إلى ليعاذر)، أنت، أنا لن أمسك بسيفى. إنه يشمئز من الجثث خاصة عندما تتجول وتحترف ما تقوم به أنت.. ذلك من اختصاص العبيد أن يرشدوك إلى طريق القبر. أين هم، العبيد؟ ولكن قبل أن ترحل، تنبه جيدا إلى ذلك، واذهب وقل لمعلمك إن السيدة التي يدعوها - إنه لا يفتقد - باسم الآلهة - لا الجراءة ولا الإرادة! - قد لجأت إلى ذراعي لتحتذى بهما ولتزدودا عنها ضد الرقيات السحرية المؤذية لهذا الهمجي وأوهامه الصبائية، هيا أبلغه على وجه الخصوص ما سأقوله لك، ربما سيفهم: حياته التي لن يطول أمدها بعدما فعله، مصيرها مقترن بهذه اليد التي ستطردك... أنا انتهيت من كلامي. هيا انصرف من هنا، فهي لن تذهب معك.

مريم المجدلية : (تحاول أن تنتزع نفسها من أحضان فيروس، بينما انسدل شعرها على كتفها من جراء هذا الجهد الذى بذلته) بلى!...

فيروس : يمسكها بقوة. - ماذا يعنى ذلك؟.. إذا أنت تريدين؟... (مريم المجدلية تومئ بحركة لتؤكد ذلك).. أنا لم أعد أفهم شيئاً... أو على الأرجح بدأت أفهم جيداً... أنت توافقين، وإنه هو الذى كنت تتظننه بلهفة كانت تبدو لى شديدة العذوبة!... لأن من يصدق أن أجمل وأغنى وأعظم سيدة فى قرية اليهودية كلها، هكذا، ستلبى دون تفهم مسبق، أول كلمة، أول إشارة لرسالة غريبة الشكل ومنفرة أرسلها إليها الذى لم تره سوى مرة واحدة فى حياتها... ذلك شئ يفوق الحد... إنى أفهم، إنى أعلم، هيا انصرفى، اتبعيه، بما أنك تحبينه...

مريم المجدلية : كلا... كلا!... إنك أنت من أحب، أما هو...

فيروس : أما هو؟...

مريم المجدلية : (تنهار منتحبة عند أقدام فيروس) ذلك شئ آخر!...

فيروس : حسنا، انهضى!... أنا لن أمنعك بالقوة. ولكنى ما كنت لأصدق أنك ستصلين إلى هذا الحد... أنا هويت إلى أعماق أحد شراكك اليهودية.. هل ترين هذا الحشد المتموضع هناك، تحت الرواق، الذى يترقب رهائنه؟... أنا لا أريد أن أؤنس النقاء الرومانى... أنا لا أحقد عليك لهذا السبب، يا مجدلية... الحب عندى، لا ينطفئ فى لحظة، فأنا عندى وفاء أكثر من المرأة... سوف أرمعك.. إنى أعلم الآن أنه بالقضاء عليه سوف أستطيع أن أنقذ تلك التى كان يريد أن يضيعها.. إنه لا يتوهم مطلقاً أنه يدين لى بحياته، لأنى حتى الآن، بشفقة أو بعدم اكتراث، كنت قد تحفظت على الاتهامات التى تتكسد على رأسه... ولكن بما أنه جاء بنفسه ليهاجم سعادتى، أضيف إلى هذه الاتهامات

جميع الأعباء الثقيلة للحب المهان. والآن، هيا انصرفي، مع
مرشدك الذي جاء من المقابر. سوف نلتقى عن قريب.
يبتعد ليعازر ببطء في الرواق. مريم المجدلية، دون أن تنبس
بكلمة، أو تبدى أية حركة، أو توجه أية نظرة، تتبعه، في وسط
صمت مطبق لجميع الحاضرين.

أبيوس : (بعد صمت طويل.) لقد رأينا أكثر من حدث لم نر مثله من قبل
وحتى هذا اليوم...
سيلانوس : حقا، يا أبيوس وذلك بدوره لا يقل إثارة للدهشة عن إحياء
ميت...

ستار

الفصل الثالث

فى دار جوزيف - إريماتى.. قاعة العشاء حيث تناول المسيح العشاء الأخير مع حواريه قبل صلبه... نوافذ فى الخلفية.. أبواب على اليمين وعلى اليسار.. معمار يهودى - رومانى - مصابيح مضاءة - كانت نهاية ليلة من ٦ إلى ٧ أبريل.

المشهد الأول

نيقوديموس، جابى الضرائب ليشى، سمعان الأبرص، ليعازر الذى ردت إليه الحياة، كليونفاس، زاكا(*)، الأكمه، باريتماوس، ضرير أريحا، ممسوس كيرسا، معاق بيت عيسدا، المستسق(**) الذى شفى، الرجل ذو اليد اليابسة، حماة سمعان بطرس، مريم كاليوفاس، مريم سالومى، زوجة زيبيدى، سوزان، المبسورة(***) كثير من الذين حدثت لهم معجزات غير معروفين، أحذب وأعرج، عميان، مبرصون، معوقون والذين ينتظرون شفاءهم مساكين، ثلاث أو أربع

(*) المولود أعمى. (المترجم)

(**) مصاب بمرض الاستسقاء. (المترجم)

(***) مصابة بنزف من البواسير. (المترجم)

عاهرات،... إلخ. كل هؤلاء الناس وأجمون، خائفون، بسبب اعتقال يسوع والإشاعات المتناقضة. يتكدر الجميع فى نهاية القاعة وهم يتمتمون ويتهايمسون... تدخل مارتا، أخت ليعازر.

مارتا : (فزمة، تنظر حولها بقلق) لقد رأيته!..
حركة. الجميع يتدافعون حول مارتا...

نيقوديموس : أين هو؟...

مريم كليوفاس : هل تألم؟...

مريم سالومى : ماذا قال؟...

مارتا : أين أختى؟...

مريم كليوفاس : هى مع أمه، فى غرفة المضيف... كانت أمه فريسة للألم العميق...

مارتا : (تذهب إلى إحدى النوافذ) ألم يتبعنى أى أحد؟... كلا، الشارع مقفر... لقد قمت بدورة طويلة...

نيقوديموس : أين رأيته؟...

مارتا : كان خارجا من قصر حنان... تابعتة حتى قايف... يبدو أنهم يبحثون عنا... يبحثون بصفة خاصة عن ليعازر، الذى ردت إليه الحياة... أين هو؟...

نيقوديموس : (يشير إلى ليعازر فى الظل) هنا، بيننا...

مارتا : يريدون أن يعتقلوا جميع هؤلاء الذين كانوا يصاحبونه ويتبعونه، يريدون أن يرحمونا وفقا للشرعية... سوف يطارد كل من يجيئون من الجليل...

كليوفاس : نحن جميعا من الجليل...

أحد الناجين بمعجزة : كلا لست كذلك..

شخص آخر : أنا كذلك، أنا من بيت عنيا.

بارتيمائوس : وأنا من أريحا...

أحد الناجين بمعجزة : ليس من المستحب أن يرونا مجتمعين مع بعضنا...
نيقوديموس : أين ستذهبون؟...
أحد الناجين بمعجزة : إلى أى مكان!.. سنكون فى أمان أكثر من هنا...
شخص آخر: وأنا كذلك، كل ما فى الأمر هو أنه شفانى... كنت محنيا وقد
جعل ظهري يستقيم...
شخص آخر : أنا لم أره سوى مرة واحدة، ذلك عندما قال لى آنذاك "انهض،
خذ فراشك معك واذهب إلى بيتك". أنا ذلك الذى أنزلونى على
مرتبة من خلال فتحة بقرميد السقف... الآن أستطيع أن أمشى
مثل الآخرين...
يتوجه إلى الباب ويخرج متبوعا باثنين من الناجين بمعجزة
واللذين تحدثا من قبله...
أحد المرضى : إنهم على حق... إن الناس لا يعرفوننا كثيرا... جئت لكى أشفى
من سيلان الدم... لم يسعبنى الوقت بأن ألمسه..
يصل كذلك إلى الباب...
مارتا : ألا تخجلوا؟...
المريض : (يقف عند العتبة) مم نخجل؟... لا يفيد فى شيء أن هؤلاء
الذين شفاهم يهلكون بسببه...
يخرج.
أحد الناجين بمعجزة : إنه لا يستطيع عمل شيء من أجلنا، بما أنه لا يستطيع عمل شيء
بالنسبة لنفسه شخصيا... ونحن لا نستطيع فعل أى شيء له...
شخص أحده : أجل، لماذا لا يدافع عنا؟... إنه يتحدث دائما عن أبيه وعن الملائكة...
نيقوديموس : ذلك أن ساعته لم تحن بعد...
الأحدب : متى ستحين ساعته؟... عندما يفوت الأوان... ليس عندى وقت
لأنظره...

يخرج

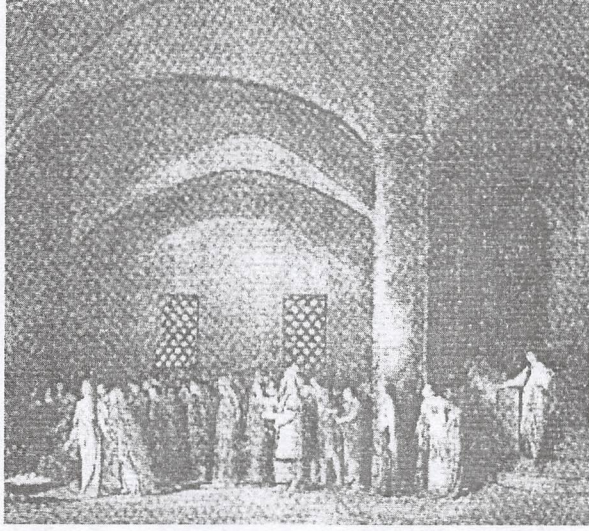
نيقوديموس : على هؤلاء الذين لا يحبونه أن يبتعدوا... ابن الإنسان، سوف
 يأتي في موعده الذي لا تتوقعونه...
 كليوفاس : إن مملكته ليست من هذا العالم!...
 أحد العميان : مملكته مفقودة!...
 نيقوديموس : قال: "إن خمسا من جواثم الطير، لا تساوى آسين(*)". الله لا
 ينسى أحدا...
 كليوفاس : قال: "لا تكونوا معلقين في القلق!..."
 نيقوديموس : قال: "لو أن أى أحد حافظ على كلامى، لن يرى الموت أبدا"
 الأعمى : ولكنه قال أيضا: "دعوا الموتى يدفنون الموتى!..."
 يصل إلى الباب وهو يتحسس طريقه ويخرج...
 الأعمى : إنى أبتعد، ليس خوفا، ولكن لكى أبحث عنه...
 أحد العاجزين : وأنا أيضا...
 يخرجان
 شخص أبرص : من قال إنه ينبغي أن تنتظره هنا؟...
 نيقوديموس : سمعان بطرس.
 الأبرص : أين يكون، سمعان بطرس؟... إنه لم يظهر قط...
 مارتا : كان بالقرب من النيران فى قصر كبير الكهنة...
 نيقوديموس : ويوحنا؟...
 مارتا : قيل لى إنه كان فى دار حنان...
 نيقوديموس : والمعلم، ماذا كان يفعل عندما رأيته؟...
 مارتا : لم أستطع رؤيته سوى لحظة واحدة، عندما كان يمر بين أعمدة
 الرواق... جمع غفير كان يحيط به...
 كليوفاس : هل رأيك؟...

(*) وحدة نقدية قديمة مفرد ما أس. (المترجم)

مارتسا : أجل، رآنى ونظر إلى...
نيقوديموس : هل كان مشغولا...
مارتسا : كانت يدها مكبلتين... جنود رومان كانوا يضربونه ليحثوه على
السير بسرعة...
مريم سالوى : أوه !...
كليوفاس : والآخرون ! الاثنا عشر، أين هم؟
مارتسا : لا نعرف... لقد تملكهم الخوف... قيل لى أن توماس ويهوذا
هربا إلى الجليل...
نيقوديموس : ومريم المجدلية، هل رأيتها؟
مارتسا : كلا، ولكن چاك قابلها... إنها منفطرة من الألم، على ما يبدو...
كانت تصرخ، وتمزق ثيابها، وتضرب رأسها بالحائط، فى قصر
حنان... بعض الخدم طردوها، ومنذ ذلك الوقت لا يُعرف ماذا
كان مصيرها... إنها تهيم فى المعسكر الرومانى كما قال لى أحد
المساكين...
نيقوديموس : هل هى تعرف أننا هنا؟
مارتسا : نعم، سمعان بطرس قال لها ذلك...
أحد المرضى : حين تعود، لا تجعلهم يسمحون لها بالخروج مرة أخرى... إنها
سوف تسبب لنا حزنا شديدا. إنها متهورة ولا تدري عواقب ما
تفعله...
أحد الناجين بمعزة : هناك من يسير فى الطريق... إنى أسمع صليل الأسلحة... إنهم
آتون لإلقاء القبض علينا... الفرار، الفرار ! (إلى نيقوديموس وهو
يقترّب من إحدى النوافذ). ابتعد عن النافذة، سيتعرفون عليك...
بارتيمائوس : سأنصرف، أنا، فلا أحد يعرفنى أبدا، فأنا من أريحا... (يستطلع
الطريق بكل حذر)، إنهم اثنا عشر جنديا مع قائد المئة.. هدوء!
التزموا الصمت!

نيقوديموس : هل توقفوا؟

بارتيمائوس : كلا... هم يمرون... لم يعد هناك أحد في الطريق... بلى! إنهم قادمون من الناحية الأخرى... اهدءوا... إنها امرأة ومعها أربعة رجال... ولكنى أعرفهم!... مريم المجدلية، جوزيف داريماتي، چاك على ما أعتقد، وأندريه وسمعان لو - زيليه... إنهم ينظرون حولهم... يطرقون الباب.. انزل لكى تفتح لهم...



مريم المجدلية: "ها هي شهور و سنون وأنتم تعيشون في نوره..."

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم، مريم المجدلية، جوزيف داريمانى، چاك،
أندريه وسمعان لو - زيليه.

مريم المجدلية : (ساخطة، شعناء، عارية القدمين، ملابسها ممزقة) - كم عددكم؟ هل
أنتم مستعدون؟... ماذا فعلتم وأنتم فى انتظارى؟... أنا قادمة
من برج أنطونيا... المحامى العسكرى لم يكن فى المعسكر
الرومانى، ولكنى قابلت صديقه أپيوس... سوف يرسله لنا،
بمجرد أن يعود... فيروس قال أنه فى استطاعتنا أن ننقذه... لا
أدرى كيف... سوف يفسر لنا ذلك... ولكن لو لم ينقذه، فعلينا
نحن أن نقوم بذلك... چاك وسمعان معهم سيوف تحت
معاطفهم. أين بطرس؟ أين يوحنا؟...

مارتا : رأيتهما فى فناء قصر كبير الكهنة.

مريم المجدلية كان ينبغي عليهما أن يكونا هنا... لابد أن نزيد عددنا... لابد أن
يمر بهذا الطريق، وتحت هذه النافذة لكى يذهب إلى
بيلاطس...

نيقوديموس : متى؟

مريم المجدلية : هذه الليلة، قبل الوردية الثانية... من منكم معه سلاح؟ أين أخفوه؟
نيقوديموس : ماذا تريدان أن تفعلين؟

مريم المجدلية : أريد أن أخلصه، إذا لم يخلصه فيروس... ذلك يسير، سوف ترى... سوف يغضون البصر عنا، أعرف ذلك... الرومان لا يريدون محاكمته... أفيوس قال ذلك لي، إنهم مترددون. عندما اقتادوه إلى قاييف، لم يكن هناك لحراسته سوى جنديين برتبة رقيب من المعبد وجنديين، مسلحين بالعصى... لو كان معي خمسة أو ستة رجال! لتمكنا من إخفائه، أعرف أين، ولكن تحقق إنقاذهم!... ولكني كنت بمفردي!...

جوزيف داريماتي : لا تعتقد أن ذلك سيكون سهلا، يا مجدلية... كل الشعب هناك مستعد لرحمه...

مريم المجدلية : لكن الشعب معه والجمهور يحبه!... هل نسيت دخوله المظفر!...
جوزيف داريماتي : ليس ذلك نفس الشيء... كانوا يطلقون صيحات الموت أمام قصر قاييف...

مريم المجدلية : كانوا بعض الخدم، وبعض الفرنسيين وبعض الصدوقيين...
جوزيف داريماتي : إن بعض الخدم لا يكفون لكي يغطوا ميدانا عاما إلى سقفه... إنه فعلا الجمهور نفسه، جمهور يوم النصر... كلا، صدقيني يا مجدلية، هو يعرف ما يريد... أراد أن يموت... لقد اعترف بكل شيء..

مريم المجدلية : بم استطاع أن يعترف، بما أنه لم يقترف أي ذنب؟...
جوزيف داريماتي : لقد اعترف بأنه ابن الله وأنه ملك اليهود.

مريم المجدلية : أليست الحقيقة؟

جوزيف داريماتي : دون شك، ولكن كان من الأفضل ألا يعلنها هذه الليلة. في نظر الكهنة والرومان تُعد هذه جريمة يُعاقب عليها القانون...
أحد المعوقين : لابد أنه مذبذب ما داموا قد اعتقلوه..

نيقوديموس : نحن لا نستطيع أن نفعل أكثر مما يريد ويأمر، وهو قد عزف عن أن يدافع عن نفسه...

مريم المجدلية : ألا ترى إذاً أنه قد فعل ذلك لكى يختبر ثقتك، قوتك وحبك!...

نيقوديموس : لقد سبق وتبأ بذلك أكثر من مرة...

مريم المجدلية : ذلك لأنه كان على يقين من جبن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يُحبونه!... آه! إن الرجال يتسمون باللياقة، والبطولة، والزهوا! الوحيدون الذين لم يفكروا فى الهرب، هؤلاء الذين أقل خوفاً، الأفضل من بينكم، يناقشون، ويتفكرون كما لو كان الأمر يتعلق بمكيال من الحنطة، والنساء يصمتن ويكبن!... حسنا، ما قولكن، يا أخواتي؟... ألم يأن الأوان لتظهرن حبكن؟... وهؤلاء الذين شفاهم، أين هم؟... ماذا يفعلون؟... أنتم هناك، الذين تريدون الهرب، بارتيمييه الأعمى، الآخر من أريحا، والثالث من سيلوريه، أنتم حولتم عنى أبصاركم التى ردها إليكم ثانية، لأنى لدى الجرأة على أن أحدثكم عنه!... أنت يا سمعان الأبرص، والآخر الذى من السامرا... هل نسيتم أنكم من قبله كنتم أكثر بشاعة من الموت؟... أنا لا أرى حولى تماماً سوى عجائب تتوارى!... الرجل ذو اليد المتيبسة، والمستسقى فى يوم السبت والممسوس من كيرسا الذى لا يجرؤ على رفع رأسه! ومن بين المعوقين ذلك الذى من بيت حيسدة والذى يسرع نحو الباب والذى لم يستخدم ساقيه إلا ليتخلى عن يسوع الذى شفاه!... حتى هؤلاء الذين جعلهم يخرجون من القبر الخائفون!... إذاً انظروا إلى ليعازر، أكثر شحوباً منكم جميعاً! ومع ذلك فقد رأى الموت، ولازمه لمدة أربعة أيام طويلة... هو إذاً أكثر صعوبة عن كل ما قيل عنه من قبل حتى الآن أليس كذلك؟... إنكم لا تجيبون؟ صمت مطبق.

جوزيف داريماتي : اسمعى يا مجدلية... أنا لا تقصنى الشجاعة ولا الإخلاص... بالرغم من سلطة الكهنة، أنا فتحت بيتى لهؤلاء الذين يتبعونه. إنى أعلم ماذا سيكلفنى ذلك... إنى على استعداد أن أضحي من أجله بكل شئ وبحياتى... ولكنى أعرف رغبته ولا أستطيع أن أخالفه... بطرس كان يريد الدفاع عنه وأخرج سيفه... جعله يعيده إلى غمده... كنت فى جيتشمانى.

مريم المجدلية : بما أنك كنت هناك، لماذا إذا لم تساعد بطرس؟... نحن ننقذ هؤلاء الذين نحبههم، ونستمع إليهم فيما بعد... إذا ماذا ستصنع إذا أنت فقدته؟ آه! تلك مضيعة كبيرة للوقت مع هؤلاء الذين يملكهم الخوف!... ماذا أفعل هنا بين هؤلاء الذين لا يريدون أن يفعلوا شيئاً؟... إنى أفقد فرصه الأخيرة ودقائقه الأخيرة... سوف أذهب للقاء فيروس، وبعده، سوف نرى... تتوجه إلى الباب، جوزيف داريماتي ونيقوديموس يسدان عليها الممر.

نيقوديموس : لا تخرجى، يا مجدلية، سيكون مصيره الموت وسنموت معه... مريم المجدلية : آه! تموتون معه، ها هى القضية الكبرى!... انتظروا!... نيقوديموس : لن تخرجى.

مريم المجدلية : لن أخرج؟... صحيح، تجرؤن على أن تقاتلوا ضد امرأة. لم أكن أتوقع هذه الشجاعة العظيمة، شجاعة الخوف. أنتم جميعاً تهزون الرأس مثل سنابل فارغة، والنساء يهللن عند اكتشافهن فى النهاية جبن الرجال الذى ظهر فجأة أكثر وضوحاً من جبنهن!

جوزيف داريماتي : أمعنى النظر، يا مجدلية، فكرى فيه وأنه إذا كان يسمعك... مريم المجدلية : حسناً! إذا كان يسمعنى، سيكون ذلك مثل ذلك اليوم حيث ذاك الذى من بينكم والذى تشبهونه جميعاً وجهه إلى اللوم لأنى سكبتُ

على قدميه عطرا فاخرا... هل نسيتم ماذا قال؟... لمن إذا حكم من منكم هو الذى على حق؟ أنتم لم تفهموا شيئا... وها هي شهور وسنوات وأنتم تعيشون على ضوء النور الذى يشعه من حوله، ولا واحد منكم لديه أدنى فكرة عما فهمته منه وتشبثُ به لأنى أحببته، أنا التى لم آت سوى بعد الساعة الحادية عشرة، أنا التى انتشلها من حضيض حقير، أحقر من أى عبد، يفوق فى مدى دنائته أى دنىء منكم!...

نيقوديموس : يرهف السمع للضوضاء الآتية من الخارج. اسكتى.. اسمعى.. هناك من يمشى أمام البيت...

بارتيماس : (من النافذة) إنه رجل يتدثر بمعطف... رومانى... لقد توقف... ودق على الباب... ثم دخل من الباب حيث إنه لم يكن مغلقا.

مريم المجدلية : تجرى نحو باب القاعة - إنه هو، لوقيوس فيروس!... افتحوا له، افتحوا بسرعة!... إنى أسمع!...

يُفتح باب القاعة ويبدو من خلال فتحته لوقيوس فيروس الذى عند مشاهدته لهذا الجمع الذى يتكون من بعض من تم شفاؤهم بمعجزة والمتسولين والمرضى، يتوقف عند عتبة مشدوها.

المشهد الثالث

الأشخاص أنفسهم، ثوقيوس فيروس

مريم المجدلية : تهرع نحو فيروس وذراعاها ممدودتان. - أخيرا أنت، عزيزي فيروس، إنه أنت حقا!... عين تنتظر مباشرة إلى وجهي، سيف، كتفان، يد لا ترتعش!... تعال، تعال، ماذا يجب علينا أن نفعل؟... هل رأيته؟... أين نذهب؟... كيف أساعدك؟... كم رجلا تحتاج إليهم؟... أين رجالك؟ إنه ليس بريئا فقط، بل أيضا كم هو طاهر، كم هو سام حتى أن فكر الأرواح لا يسمو إلى مكانته... فهو يتحمل كل شيء، بصدر رحب، تكفيرا عن خطايا العالم، ولكن نحن لا نريد أبدا أن يضحي بنفسه من أجلنا... إن نظرة واحدة من نظراته، وكلمة واحدة من كلامه تساوي حياة جميع الرجال الآخرين...

فيروس : (ببرود) هل كان ينبغي على أن أقابلك هنا؟... من هم هؤلاء... الناس... الذين يحيطون بك؟

مريم المجدلية : إنهم محل ثقة... إنهم يحبونه بقدر ما يحبهم، ولكن يلزمهم قائد... إنه أنت الذي ينتظرونه... فهم سوف يتبعونك إلى أي مكان...

فيروس : (ساخرا) أنا لم أحضر إلى هنا لكي أقود هذه الشرذمة...

الغريبة. لا أعرف ما تقصدينه، هناك سوء تفاهم، هنا ليس
أبداً، على ما أعتقد، مكان مناقشته أمام هذا الجمع الغفير من
الحاضرين...

مريم المجدلية : أنت على حق... (إلى الآخرين) دعونا... سوف أستدعيكم
عندما يتعين علينا أن نتحرك...
يخرجون جميعهم وتظل مريم المجدلية بمفردها مع لوقيوس
فيروس.

المشهد الرابع

لوقيوس بيروس، مريم المجدلية.

بيروس : (بتهكم) ما هذه الأشكال؟... لم أر قط مثل هذا التجمع من العُرج، من المتشردين ومن المرضى ذوى الرائحة الكريهة ! إذا ماذا يريدون منك؟... قيل إنك تعيشين بين أناس غير عاديين، الطاعنون فى السن، والأكثر قبحا، والأكثر قذارة، والذين يُسببون العدوى من هؤلاء اليهود الذين سبق وإن كنتِ تسخرين منهم وأنت راضية النفس عند الحكيم سيلانوس، ولكن ما كنت لأصدق أنهم قد بلغوا مثل هذه الدرجة من المعزة من ناحيتك... غير أن ذلك لا يهمنى. ولكنى كنت قد قلت لك من قبل إننا سوف نتلاقى. أبيضوس أعلمنى أنك بحثت عنى فى المعسكر الرومانى، فتركت كل شىء لأسارع لتلبية أول نداء منك، كنت أعرف ما يحدث، وكنت أنتظر موعدى...

مريم المجدلية : كم أنت طيب وكريم!... كم أن حضورك وابتسامتك يبعثان الاطمئنان والارتياح!.. لو كنت تعرف، حالة الآخرين!... كانوا يرتعدون جميعهم مثل البوص الذى تحدث عنه معلمنا، لقد فاض بى الكيل، وكنت أموت خجلا... ولكننى كنت أعرف أنك ستعود إلينا، والآن، إنه أنت، أسلحتك، وصدرك... يبدو لى أن

روما كلها تحميننا وأن ذراعيك اللذين يستطيعان كل شيء، لا يمكنهما أن يتخليا عنه...

فيروس : لن يتخليا أبداً عنك يا مجدلية، البقية لا تتوقف سوى عليك... أنا ربما أكون كريما، ولكن على طريقتي أنا وسينبغي علينا التفاهم... إذا فقد تم اعتقال، مثلما توقعت، ذاك الذى يهيك أمره اهتماما شديدا؟

مريم المجدلية : إنه لم يُعتقل فحسب بل أيضا إن جميع خدم المعبد، وسُواس(*) الدواب، ورعاة البقر، وأدنى عبيد المطابخ مُسلطون عليه، شتموه، أهانوه، أساءوا معاملته. ولما كانوا خائفين مذعورين من أن يخاطروا بأنفسهم، فقد استعانوا بالجنود الرومان!

فيروس : أعلم ذلك... فلنتحدث بوضوح وبإيجاز، أليس كذلك؟

مريم المجدلية : أجل، فنحن ليس لدينا وقت لنضيعة...

فيروس : فى الواقع، لم يعد الأمر يتعلق باعتقال أو سوء معاملة شبه مبررة، ولكنه يتعلق بموت على وشك الحدوث. لقد قابلت الوالى بيلاطس البنطى...

مريم المجدلية : حسنا، ماذا قال؟

فيروس : وجدته قلقا، متحيرا، مضطربا، إنه رجل مذبذب، طيب القلب، عدو للمشاجرات والعنف. كان عليه أن يختار الثورة الدامية التى لا يمكن تجنبها من ناحية الكهنة وطوائفهم، أو التضحية بأحد المثيرين للفتن هو من المؤكد يثير القلق ويتسم بالخطورة، وإن كان، وفقا للقوانين روما وعدالتها، ربما لا يستوجب عقوبة الإعدام. أنا تحدثت من منطلق واجبى وضميرى. لم يتردد بعد. اتخذ القرار الأكثر إنسانية والأكثر حكمة. ولما كنت أنا الحارس

(*) مفردهما: سائس. (المترجم)

السلح والمسلول عن السلام الرومانى؁ فقد وضع بين ىدى مصير
الناصرى الذى يهكم. ومن جهة أخرى؁ لابد أن أعراف بأنه قبل
لقائنا كنت مزمعا على السماح للأحداث بأن تأخذ مجراها الذى
اتخذته...

مریم المجدلیة : لقد تم إنقاذه. كنتُ على یقین من ذلك! وكم كنت على حق فى
عدم خشیتى أى شىء وأنا كلّی أمل عندما لجأت إلیك!...
فیروس : علینا الا نترسرع فیما لا یصح. هناك أمور كثيرة یجب أن تؤخذ
فى الاعتبار...

مریم المجدلیة : ماذا تقول؟
فیروس : أقول إن هناك أمورا مهمة یجب أن تؤخذ فى الاعتبار... لو كنت
غربیا تماما عن الموضوع؁ ما كان اختیارى أصبح محل شك؁
ولكنت تخلیت عن البائس كى یسود الهدوء العالم مع الإشفاق
علیه إلى حد ما؁ إنه القانون المطلق للإمبراطورية؁ ولكن الآن..
مریم المجدلیة : ولكن الآن الأمر یختلف؁ أنت تعرفه؁ أنت تعلم... لا یمكن أن
نتردد لحظة؁ سیکون ذلك غیر إنسانى ووحشى...

فیروس : فى الواقع لا یمكننا أن نتردد؁ وكما قلت سیکون ذلك وحشیا...
لكى أنتزع؁ من موت محقق؁ منافساً أثیراً؁ فأنا بذلك سوف
أفقد المرأة الوحيدة التى أحبها والتى یمكن أن أحبها؟ من المؤكد
أن ذلك لیس ممكنا.

مریم المجدلیة : أنا لم أع جیدا ما قلته توا...
فیروس : ومع ذلك؁ فالأمر سهل وواضح... بإنقاذه؁ فأنا أسلمك وأنت
مسلوية الإرادة إلى اللص الذى سوف یستدرجك معه؁ من سقطة
إلى سقطة؁ ولا نعرف إلى أعماق أية هوة من الجنون ومن
البؤس؁ من حیث لا تستطیع أية قوة إنسانية عاقلة أن تتشكك
منها... من ناحية أخرى؁ بالنسبة إلى ما یخصنى؁ أفقدك بلا

رجعة، وأسلمك هكذا، بيدي هاتين الساذجتين والحمقيين، لذلك الذى يستولى منى على سعادتي بالوسائل التى ضدها، يوجد رجل لا يزال يحتفظ باسمه رجلا، لم يحاول أن يناضل. فى حين أننى لو تركته لمصيره، فستكون هناك أكثر من فرصة لأراك تعودين إلى النور، وبالنسبة لى، بصيص من أمل فى لقاءك فى طريقى، لأن حياتنا لا يزال أمامهما مسافة طويلة عليهما أن يجوياها، وطرق عديدة تعرفينها، تؤدى إلى روما.

مريم المجدلية : فهمت... فهمت، بما أنه يجب أن نفهم جيدا، ولكن لا تعتقد بعد... كلا، ذلك غير ممكن، وأنت لم تأتى، مثلما أعرفك، لكى تقول لى بكل برود أنك تريده أن يموت وأن تنتقم لنفسك هكذا من ذنب لم يقترفه... هناك شيء، لابد من أن يكون هناك شيء ما...

فيروس : بالفعل هناك شيء آخر، فى الواقع... يبقى لنا، إذا أنت كنت فى حاجة ماسة إليه، وسيلة لإنقاذه... ولكن، حيثما نكون وحيثما أدفع بالمخاطرة، قبل إنقاذه، يُحتمل أنه قد يودى بى، ومن ناحية أخرى، الوقت يمر سريعا. القرار صدر وأنا رأيته. سوف يُنفذ فيه حكم الإعدام عند شروق الشمس، لأن الساعات معدودة بسبب عيد الفصح.

مريم المجدلية : ماذا يجب أن نفعل،... أخبرنى سريعا، سريعا... وأنا سوف أقوم به...

فيروس : إن السجين فى حراسة رجالى، إذن، فلا يستحيل، عند اللزوم، أن يتم تهريبه...

مريم المجدلية : أجل، أجل، ذلك يسير، وذلك هو فعلا ما يجب القيام به... ما أن يتم تحريره سوف يختبئ، ويتم نسيانه... علينا ألا نضيع الوقت... ولكنى لا أفهم لماذا كنت تقول...

فيروس : سوف تفهمين حالا... أجيب إذا بصدد الأسير. هل تدركين ما أفعله، هل تدركين بماذا أجازف لو أطلقت سراحه؟...

مريم المجدلية : جنودك سيصمتون، ولن يعرف أحد أن....

فيروس : جنودى لن يستطيعوا أن يسكتوا... عليهم أن يختاروا بين الصمت أو حياتهم. إذن فسوف يتضح أنهم لم يتصرفوا إلا بناء على أمرى، فى هذه الحالة، وليس هناك مثالا حانت فيه مثل هذه الفرصة لأمرء الكهنة وسبق أن تخلوا عنها أبدا لينتقموا من فريسة ما ويشفوا غليلهم. سوف يشتكون، أولا إلى أنطاكية لحاكم سوريا، ثم إلى قيصر نفسه، والذى عادة ما يستشاط غضبه لمجرد ذرة من الشك. أتعرفين ماذا يعنى قيصر؟ ترتعد أمامه فرائص أعظم العظماء وأقوى الأقوياء فى روما، بل يرتجفون أمام ظله... بالنسبة إلى لو لم يكن ذلك هو الموت عينه، فهو نفى بعيد عن روما، والموت بالنسبة إلينا - نحن معشر الرومان - أقل ألما عن العزلة والنفى... هاهو ما أعرضه عليك، ها هو رهانى، انتظر رهانك أنت.

مريم المجدلية : أنت تنتظر رهانى؟... ماذا تريد منى أن أعرض عليك؟... أنا لا أملك شيئا... أنا وزعت كل شيء على المساكين مساء أمس...

فيروس : أنا لا أسألك ما يُعطى للمساكين... ثم لقد فاض بى الكيل من هذه المهاترات التى لا فائدة منها وهذه العبارات التى لا تؤدي إلى أى تقدم... آه ! إنى أحمل هم العدالة، وأن يزيد أو ينقص عدد المتسولين واحدا على الأرض، ومهموم بمصيرى أنا ونففى أنا... إذن، أنت لم تفهمى أنه أنت التى أريدها، أنت فقط وبكل صفاتك ومنذ سنوات وها قد حانت ساعتى!... وهو ليس توقيتنا موفقا، أعلم ذلك، ولم أحلم به أن يكون هكذا!... ولكن ليس عندى غيره وعلى المرء أن يقنع بما يحصل عليه لكى يؤمن

حياته!... ها نحن وجها لوجه أمام جنون كل منا وهو جنون جامع يفوقنا قوة ولا نستطيع التراجع عنه، المقصود هو أن نتفاهم!... بقدر ما تحبينه، بقدر ما أحبك، وبقدر ما تريدن إنقاذه، بقدر ما أريد أنا هلاكه! يتعلق الأمر بالتفاهم!... أنت تريدن حياته، أنا أريد حياتي، وأنت ستعطينه حياته، ولكن أنا سوف أتملكك، أنت قبل أن يفلت من موته... هل هذا مفهوم؟... هل نحن متفقان؟ قولى لى كلا، لو واثتلك الجراءة على ذلك، وأن دمه سيقع على تلك التى قادته إلى حيث نكون، ويفقده مرتين!... مريم المجدلية : آه ! هكذا الأمر إذا!... أجل، أجل... عرفت، فهمت... لم أكن مدركة وواعية وكنت قد كففت عن التفكير، ولكن كان ذلك مستحيلا... آه! إذا كان ذلك هو الذى تسبب فى أنه فى الوقت الذى كنت تحدثنى فيه، كنت مفتقدة الثقة بالرغم من ثقتى!... إن الأمر فى غاية الغرابة، وفى غاية الوحشية، وفى غاية البعد عنا!... لا بد من بعض الوقت للتأكد من أنفسنا... كل الأفكار أصابها الجنون والنفس تنهاوى، تنهاوى، كحجر يتهاوى فى هوة... لم نعد ندرك شيئا قط... ولم نعرف بعد مكاننا... فيروس : نحن نعرف ذلك تماما، وكل هذا ليس به أى شىء غير عادى... منذ بضعة أيام، ألم تكونى على استعداد لتقبل الأمر دون تمنع، ولم أفهم سوى اليوم أن ثمن الحب شىء آخر تماما، وأن حياة عزيزة عليك من بين البشر كافة...

مريم المجدلية : آه ! أنت لا تفهم!... ونقول أن الجميع تقريبا، حتى هؤلاء الذين يحبونه، لا يدركون أكثر منك!... هل أكون أنا الوحيدة التى قد نظرت فى أعماق نفسه؟... ومع ذلك فهذا ليس صعبا!... إنه لم يتحدث معى سوى ثلاث مرات فى حياته، ولكنى أعرف ما يفكر فيه، وأعرف كل ما يريده، وأعلم ما هو أكثر عمقا كأتى كنت

بداخله، أو كما لو كان هنا، بجواري، يركز نظره على، حيث تنزل
الملائكة، وكما في المساء حيث كنت أقبل قدميه اللتين كنت
أجففهما بشعري.

فيروس : كنت على يقين من أنني قد وصلت متأخرا جدا ولكني ما كنت
لأصدق أنك ستصبحين بعيدة على هذا النحو... وإذا كان لم
يتحدث إليك سوى ثلاث مرات، فهو لم يبدد بلا شك تلك
الدقائق، وقال لك أثناءها ما يكفي لانتزاع شكوكي... ولكن
فلنكن متعقلين. الأمر يتعلق بشيء آخر غير الحب، وحببيك
شخصيا، لو أنه كان قد استشير، فسوف يحكم بأن القبله لا
قيمة لها مطلقا في وجود الموت... بما أنك تحبينه كثيرا، ألا
تساوي حياته كدرا طفيفا لم يكن في الماضي يخيفك بهذا
القدر... لو كانت توجد مرآة في هذه القاعة، لكنت قد تأملت
نفسى فيها، بتعجب لأمير، ما دفع بي في غضون بضعة أيام إلى
أن أصبح إلى هذه الدرجة مثيرا للاشمئزاز، لكى تفضلى عذاب
الرجل الوحيد الذى أحببته، لمجرد ملامسة شفتي. ولكن ماذا
ألم بك؟... يبدو أن أحدهم قد حدثك بأمور عجيبة!... ماذا
قُلت؟ ماذا فعلت؟... وجهك يتغير... ليس هناك ما يدعو لكى
تنظري إلى هكذا، بنظرات يملؤها الخوف والذهول كأنها تشاهد
تهاوى الشمس أو انتهاك قبر ما...

مريم الجدلية : اتركنى!... أنت لا تستطيع أن تفهم... أنا بدأت أفهم فقط...

فيروس : منذ بضعة أيام، أنت كنت تفهمين بطريقة أسرع..

مريم الجدلية : بصوت هادئ وبعيد. أجل، أجل... لأننا لا نفهم إلا بالتدريج
(وهى تنظر امامها فى ثبات) إن ذلك يجرى بهدوء، كأنه أمر لم تكن
له بداية، ولا نهاية، ولا اسم... يوجد هنا موتان، ومعنى موتان فى
يدى، ذلك ما يشق على بائس وُلد على هذه الأرض...

فـيـروس : موتان؟... ماذا تقصدين؟... أنت لا تنوين على أن تتبعينه؟... إن موتك، بما أنه يحبك، لا يسعه إلا أن يضيف إليه مرارة لا لزوم لها...

مريم المجدلية : بالصوت نفسه الهادئ والبعيد. - كلا... ليس موتى هو ما أحدثك عنه... إنهما موتان آخران... مازلت أتمتع بحكمتى وعقلي... فأنا بصيرة بالأسرار التي فى أعماق الظلمات... دعنى أنظر حيث تعجز أنت عن تبين أى شىء...

فـيـروس : لم أكن لأصدق أننى عندما حضرت أحمل لك خلاصه والتضحية العظيمة التى بذلتها من أجل الحب...

مريم المجدلية : (منفجرة) التضحية التى بذلتها للحب!... آه ! لو كنت تستطيع أن ترى ذلك الذى تحقق هنا، والذى لا يجروء الملائكة أنفسهم على مشاهدته!... ولكن أنت لا تستطيع أن تدرك ما حدث فى الدنيا عندما جاء إليها!... لم تعد هى الدنيا نفسها، ولم يعد ذلك غير ممكن!... من قبله، الأكثر طهارة ما كانوا ليتراجعوا!... من قبله! من قبله! وفضلا عن ذلك، حتى اليوم، أنا التى أحيائها، لو لم يكن "هو"، إذاً لكان الأمر يتعلق بآخر، ما كنت سأمتلك القوة!... ربما كنت سوف أقترف إثما ضد كل من يحبه لكى أنقذ من أحب!... ولكنه يمنح قوة هائلة للحب والألم!... كان فى استطاعتى إنقاذه رغما عنه، ولكن ليس رغما عنى! إذا كنت قد حصلت على حياته بالثمن الذى أخبرتنى به، فهو لن ينجو إلا بموت كل ما كان يريده، كل ما كان يحبه!... أنا لا أستطيع أن أغمر الشعلة فى الطين لكى أوفر المصباح! لا أستطيع أن أميته الموتة الوحيدة السامية كما ينبغى كى تكون جديرة به... ولكن انظر إلىّ إذاً، بنظرات أكثر وضوحا وأنت ربما سترى كل ما أراه دون أن أستطيع أن أقوله لك!... لو أننى ضعفت واستسلمت ولو

للحظة تحت سطوة الحب، عندئذ ما قاله وفعله ومنحه سوف يتهاوى فى أعماق الظلمات، وتصبح الأرض أكثر خواء كما لو لم يكن قد وُلد والسماء تنفلق على البشر إلى الأبد!... إننى بذلك أفقده تماماً، أنا أخسر أكثر منه شخصياً، لأكسب له أياماً، وستكون هذه الأيام مفقودة تماماً...

فيروس : إن الأمر لا يتعلق بزيادة أيامه، بقدر ما يتعلق بتجنيبه ألوانا من العذاب، تعذيب يكفى مجرد تصويره لجعلك تفكرين.

مريم المجدلية : أعلم جيداً أعلم جيداً... مادمت أحبه على هذا النحو كما لو كنا لم نحب بعد على هذه الأرض حيث السماء لم تكن قد نثرت حبها بعد، ألم يكن من الضروري أن أضحي من أجله بما لم تضح به نفس بشرية من قبلى أنا!... لكنك جئت تطلب كل ما أعطاه، وأن كل ما أعطاه أكثر من حياته ويعيش فى نفوسنا أكثر مما يحيا فى ذاته!... إذا فقدته فى أعماقى فإننى أدمرته فى نفوسنا!... لم أعد أعرف، لم أعد أرى أو أعى، لم أعد أسمع... ربما كنت سأفعله لو كانت نفسى وحيدة، ولكن أصبح ذلك مستحيلاً والله لن يُريده!...

فيروس : إن الخالدين يريدون دائماً ما يريده الناس... كونى على يقين بأنه، إذا كان ذاك الذى سوف تُسلمينه إلى التعذيب يستطيع فى هذه اللحظة أن يجعل صوته مسموعاً، فلن يتردد أبداً فى أن...
مريم المجدلية : آه! أنا على يقين من أنه لن يتردد مطلقاً! لذلك أنا أتخطب كحيوان أعمى حائر بين تضحيتين! إنه حياىى القديم الذى يُثقلنى ويمنعنى أن أصل إلى إرادته!...

فيروس : إن الإنسان ليس له سوى إرادة واحدة فى حضرة الموت...
مريم المجدلية : يا إلهى! يا إلهى! أنا لا شئ، لقد تلطختُ بكل رجس، ما أهمية تلك الخطيئة التى تمنح لك الحياة، لكن هل الأمر يتعلق بى

أنا؟... وأليس أنت فقط، أليس المصدر نفسه الذى تنبثق منه
منابع كل الطهارات وكل ألوان السعادة وكل الحيوانات هو الذى
سوف أدنسه اليوم بتدنيسى لخلاصك؟... إنى لا أعرف بعد أين
ترجع روحى!... لن يتبقى لى شىء إذا ما فقدته، لن يتبقى لنا
شىء إذا أنا أنقذته!...

فيروس : لا شىء يضيع مادامت الحياة باقية...

مريم المجدلية : اصمت، أتوسل إليك!... دعنى بمفردى فى أعماق صمته ورهن
إرادته... اتركنى أتأمل وأنصت إلى شىء آخر... إنى لم أحبه
بعد كما يريد أن يُحب!... كلما رفعت عينى نحو سماءه، التى
تشع نورا، لا أرى سوى آلامه وتعذيبه... وجهه الثابت، عينيه
اللتين تضئان كل ما يشاهدانه، فمه الذى كان يتحدث بلا توقف
عن السعادة... قدماه اللتان قبلتهما، ساكنتان، باردتان... يا
فيروس! يا فيروس! الرحمة!... لم أعد أتحمل! لم أعد أتحمل!
إنى أتهاوى!... افعل بى ما تشاء!...

فيروس : (يتلقاها بين ذراعيه) يا مجدلية، يا مجدلية!... كنت أعرف...
مريم المجدلية : تقفز إلى الخلف عند ملامسته. كلاً، أنت لم تكن تعرف، والأمر
ليس كذلك!... هناك شىء آخر!... يوجد مخرج!... أن يكون
منوطاً بأمر هذه اليد البشرية مصير، حياة يسوع المسيح الذى
جاء للعالم!... أعرف، أعرف، أنت لا تؤمن به... ولكن على الأقل
ينبغى أن تصدق أنه برىء، وأنت تعرف ذلك أيضاً، فهو لم
يقترف أى ذنب، حتى إنه لا يعرف ما هو الشر، بما أنه هو
الخير كله... إن كل ما فعله هو الشفاء والمداواة، والمواساة
والصلاة... إنه لم يفعل شيئاً سوى أنه ملّس على الأنفس غامراً
إياها بالسعادة... لو أنك عرفت، ولو كان قد تحدث إليك وإن لم
يكن ذلك سوى لمرة واحدة!... بما أنه برىء وبما أنك عادل، بما

أنك تملك القوة وبما أنك شجاع، فإنك لا تستطيع أن تسلمه إلى الجلادين دون دفاع... ليس ذلك جديرا بأحد الرومان، أو حتى بإنسان... فيروس، هيا، إنك لست منعدم الإحساس والشعور، وأنت لست وحشا، وستفهم أيضا... ذلك يتوقف عليك... بالنسبة لى، ذلك مستحيل... يوجد هناك سور تدافع عنه ملائكته... لا يمكننى أن أعبر... لا ينبغي التفكير فى ذلك.

فيروس : يكفى هذا، وبما أنه لا فائدة من كل ذلك، فليكن رأيك مثلما أنت مقتنعة به... فلست أنا الذى أودى به إلى التعذيب.

مريم المجدلية : تتعلق بملابس فيروس - الذى يخطو خطوة نحو الباب - فيروس! فيروس!... أتوسل إليك!... ليس ذلك كل شيء!... لم يُقال كل شيء بعد!... إن ذلك الأمر لا يمكن أن يُتخذ فيه قرار على هذا النحو!... ولكن لا تطلب الشيء الوحيد المستحيل... سأكون عبدة لك، أريد أن أعيش عند قدميك، أخدمك وأنا جاثية، بقية عمرى، ولكن هب لى حياته دون أن تحطم فى نفسى وفى الأرض قاطبة ما هو الحياة ذاتها لحياتنا الجديدة!...

فيروس : يكفى هذا!... فضلا عن ذلك، لقد فات الأوان. إن صبرى لإنقاذ منافس أبغضه، أمر لا يقل سخرية عن إصرارك على إنقاذ حبيبك وأنت تجزئين له المدائح وتتغنين بفضائله!... عندما سترينه ميتا قبل ثلاث ساعات من الآن، لا تبكى عليه، خشية من أن دموعك قد ترتد لتلطم وجهك ثانية!... (يلمح جوزيف داريماتى وهو يوارب بحذر باب القاعة من الجهة اليسرى) من هناك؟... هيا ادخل، إنها لمصادفة عجيبة!... لا بد لنا من شهود. أين المشعوذون والمتوحشون، والبُرص؟ يجب أن أخبرهم...

مريم المجدلية : بماذا؟...

فيروس : سوف يعرفون من الذى سلّم معلمهم! سوف نرى فى الوقت نفسه

أن قلبك سوف يُطاوعك على أن تُجهزى عليه أمامهم، وكيف
سوف يتلقون النبأ... ومهما كانوا مُنفَرِّين كما هم، أريد أن أرى
ثانية وجوههم الحقيقية!...

يصل إلى الباب الذى يفتحه على مصراعيه.

مريم المجدلية : تهرع لتوقف حركته - فيروس!... فيروس!... هذا التصرف ليس
من شيمتك!...

فيروس : أعرف! أعرف!... أنا لست جديرا بأى شىء، على ما يبدو، ولا
حتى بك أنت، يا عاهرة!... (ينادى بصوت جهورى) أنتم! أنتم! أنتم
الآخرون!... أين أنتم؟... هيا أسرعوا، يا أيها الكُتَّع والمقعدون،
والمشوّهون، والشحاذون، والمتسولون، والمبرصون، والمعوقون!...
عندى أمر مهم لأخبركم به!...

وجوه فزعه تظهر من خلال فتحتى البابين.

المشهد الخامس



«مريم المجدلية، أمام جوزيف داريماطي في وسط مرضى ومتسولين».

المشهد الخامس

فيروس، مريم المجدلية، ومعظم شخصيات المشهد الثالث تقريبا.

فيروس : هيا ادخلوا، ادخلوا! لا تخشوا شيئا... (يدخلون، وهم وجلون) ها أنتم جميعا؟... كان يُقال إنكم أكثر عددا... إلى أين مضى الآخرون؟

جوزيف دريماتي : سيدى، هناك البعض منهم يخشون من أن الليل...
فيروس : فهمت، كانوا خائفين... حبهم وثقتهم لم يُحققا أهدافهما...
عموما، يكفى ذلك... هل ترون هذه المرأة؟... لقد عرضت عليها منذ قليل أن أنقذ مُعلمكم. ما كان عليها إلا أن تقول: "نعم"، قالت: كلا، إنها تطلب موته. إذا، سوف يموت عند شروق الشمس.

حركة.

نيقوديموس : ماذا يقول يا مجدلية؟...
مريم المجدلية لا تجيب
فيروس : اسألوها، ستعرفون...
نيقوديموس : يا مجدلية، هل هذا صحيح؟
ج. دريماتي : لكن أجيبينا، هيا!... ماذا بكِ إذا؟...
فيروس : إنها تفقد وتسلم فى آن واحد جميع هؤلاء الذين تبعوا المضلل،

لقد قلت لكم وداعا، حافظوا على أنفسكم.

يتوجه نحو الباب.

ج. درايماتي : (يعترضه، متوسلا) سيدي، أرجوك، لا ترحل هكذا!... إنها على خطأ، ستري... هناك خطأ مخيف... يا مجدلية، لنرى ماذا يقول؟ ماذا تقولين أنت؟... ولكن هذا غير ممكن!... إذاً ماذا حدث؟..

(كثير من المرضى والمتسولين، يحيطون بالمجدلية التي لا تزال ساكنة الحركة، شاخصة ببصرها إلى الفراغ).

يا مجدلية! يا مجدلية!...

شخص أحده : هي أيضا باعته!... لقد كانت مع الأسخريوطي(*)!...

مارتا : (تحيط رقبة مريم المجدلية بذراعيها) يا مجدلية!... اسمعيني... كنت تحبينني جدا... أين أنت؟... ليس هذا حقيقيا، أخبريني؟... أنت لم تسمعي...

مريم كليوفاس : (تضع يدها على كتف المجدلية) يا مجدلية! يا مجدلية!... كلا هذا مستحيل... أنت لم تنسى...

أحد المساكين : كم أخذت؟

شخص شفي بمعجزة : أجل، كم؟... أين المال؟...

شخص آخر : أعيدى الذهب! أعيدى الذهب! فتشوها!.

مريم سالومي : يا مجدلية! يا مجدلية! إنها مجنونة!

أحد الرعاع : أيتها العاهرة!... يا فتاة الجنود!...

شخص آخر : زانية! زانية! زانية!

شخص شفي بمعجزة : الشياطين السبعة الذين قام بطردهم منها عادوا مرة أخرى إلى جسدها.

(*) هو يهوذا الملقب بالإسخريوطي. (المترجم)

آخر : لقد باعنا كقطيع من البقر!

أحد المرضى : نحن جميعا سوف نموت!

آخر : أجل، ولكن ليس قبلها!

متليبس اليد : إنها لن تخرج من هنا قبل أن...

أحد المعوقين : على كل حال إنها لن تخرج من هنا حية، أنى أصبر على ذلك!...

الجميع تقريبا، يصيحون، يشيرون بحركات ويلوحون بقبضاتهم فى الهواء، ويتسابقون للإحاطة بمريم المجدلية التى لا تزال صامتة وبلا حركة.

ج. داريماتى : يتدخل فى الأمر. هيا، لا تنسوا من أنتم، وأين أنتم وباسم من تتحدثون. (إلى فيروس) سيدى، أرجوك، تحلى بالصبر... أنا رجل عادل وحكيم وكل شىء سوف يُفسّر... اسمعى يا مجدلية، أنا أكلمك باسمه... مازال الوقت سانحا لتقولى "نعم" ... أنى أتحدث بمثابة أب...

صمت مريم المجدلية كما هو، وقد ظلت ثابتة بلا حركة.

الأحدب : هل ترون بوضوح!... لقد حصلت على الثمن!

انفجار غضب عارم. الجميع يحيطون بها عن قرب، تتعالى صيحات التهديدات، اللعنات، والتوسلات الأثبات، تتضاعف، فجأة، ترتفع من الشارع، ضوضاء صاخبة تسود القاعة. كانت صرخات لجمع غفير حائق يقترب بسرعة، ضوضاء ارتطام أسلحة وخيول. وفجأة كل شىء يهدأ فى القاعة. صمت تام ومُقلق وينصت الجميع بقلق.

شخص شفى بمعجزة: الرومان!... الجنود!... إنهم قادمون ليعتقلونا!... لقد سلّمنا إليهم!... فلنهرب!... من هنا، من هنا.

تسود حالة من الذعر، البعض يركضون بلا هدف حول القاعة بحثا عن مخرج.

أحد المتشردين : كلا، كلا... لا تخرجوا!... لا يوجد سوى باب واحد!... لا يمكننا الهرب!... سوف يكتشفون أمرنا!

شخص شفي بمعجزة: اصمتوا!... اختبئوا!
أحد المعوقين : هيا! أطفئوا المصابيح!... سوف يَرون الأنوار! سريعا! سريعا! أطفئوا!...
تُطفأ المصابيح.

معوق آخر : لا تقتربوا من النوافذ! لا تظهروا بالقرب من النوافذ. انبطحوا
بمحاذاة الحوائط!...

فيروس : إن ذلك مشهد نبيل أحرص على مشاهدته حتى النهاية...
ج. داريماتي : يقترب من فيروس. سيدى لا تهلكهم... إنهم ضعفاء ومساكين...
جميعهم تقريبا مرضى، إنهم لا يدركون ما يفعلون... اشفق على
هؤلاء الناس ولا تحكم عليهم...

(الصيحات: "الموت! الموت!... للمضلل! للمضلل!... الناصرى!... الجليلي...
يريد أن يهدم المعبد!... يريد أن يخرق الشريعة!... أيها المجدف... الموت
لك! الموت لك! الموت لك!..." تتضاعف فى الشارع وتدوى الآن فى الدار
نفسها. الإضاءة الحمراء للشعلات تتغلغل فى القاعة. ضرير أريحا ينزلق
إلى إحدى النوافذ ويشاهد ما يجرى بالخارج).

صوت قلق : لا تقتربوا من النوافذ!...

شخص أحذب : (يقترب من نافذة أخرى) ماذا يجرى؟
ضرير أريحا : إنه هو!...

الكثيرون لم يستطيعوا مقاومة الرغبة فى مشاهدة ما يجرى، زحفوا حتى
النوافذ، فى حذر شديد. أحيانا يلتفت أحد هؤلاء نحو الموجودين فى نهاية
القاعة، ليخبرهم بما يرى.

أحد الناظرين من النافذة : إنه مُحاط بالجنود!... يوجد منهم حشد كبير!

شخص آخر : إنه يقترب! يقترب!... يداه مكبلتان! يتعرض للضرب!...

شخص آخر : إنه يبكي!... عيناه تُدميان!...

شخص ثالث : إنهم يقودونه إلى بيلاطس!... ها هما بطرس ويوحنا اللذان
يختبئان!...

شخص رابع : لم يعد قادرا على السير!... إنه يترنح!... يترنح!...
فيروس : (موجها الحديث إلى المجدلية التي لم تتحرك وظلت واقفة أمام أحد
الأعمدة، في وسط القاعة، تحديق ببصرها إلى الأمام، دون أن تلتفت نحو
النوافذ) يا مجدلية!...

في الطريق، فجأة، يهدأ الصخب وكأنه جسم ثقيل وضخم
يتهاوى. ويسود صمت مطبق.

شخص بالقاعة : ما هذا؟...
ضريرا ريجا : عند النافذة. إنه يسقط!... لقد سقط على الأرض!... إنه ينظر
إلى الدار!...

فيروس : يا مجدلية، ما زلتُ عند وعدى لك...
مريم المجدلية : (دون أن تتحرك، ودون أن تنظر إلى فيروس بلا غضب، ويكل
بساطة، بصوت كأنه قادم من العالم الآخر، نبرته مفعمة
بالسلام، بالنور والثقة الإلهية.) انصرف!...

ضريرا ريجا : (عند النافذة) إنه ينهض ثانية! إنهم يجرونه!...
الصخب، وصيحات الموت تعود ثانية متعالية من الشارع، فيروس يخرج
ببطء وهو ينظر إلى المجدلية التي ظلت ثابتة، كأنها في حالة انتشاء،
تتسلط عليها أضواء الشعلات، فتسبح في نورها، وهي تبعد عنها.

ستار

المؤلف فى سطور: موريس ميتيرلينك

ولد موريس ميتيرلينك فى ٢ أغسطس ١٨٦٢ فى مدينة على الحدود الفرنسية البلجيكية، وهو ينتمى إلى أسرة ثرية. تعلم فى مدارس اليسوعيين التى تخرج فيها عدد كبير من الأدباء، والتحق بكلية الحقوق فى جامعة دوجان. ثم رحل إلى باريس ١٨٨٦ وتعرف على الأدباء، وقرر بعد الاحتكاك بهم أن يمزق كل كتاباته السابقة، ويبدأ من جديد. وفى عام ١٨٩٥ التقى بالممثلة المسرحية جورجيت لبان التى لم تفارقه لسنوات طويلة وألهمته الكثير قبل أن يفترقا عام ١٩١٨ ليتزوج من امرأة أخرى رافقته فى كل رحلاته عبر الولايات المتحدة وتونس والجزائر.

وقد منحت جائزة نوبل لميتيرلينك عام ١٩١١ لنشاطه الأدبى المتضاعف ولإبداعه الدرامى المتميز بثرائه وتخيلاته، وعقب فوزه بالجائزة انضم إلى الأكاديمية الفرنسية، لكنه رفض أن يحمل الجنسية الفرنسية. وليس هذا بالأمر الغريب على كاتب برزت الوطنية فى مسرحياته العديدة والكثيرة. ومنها "الملك ألبير" عام ١٩١٥ و«نفايات الحرب» عام ١٩١٦، وغيرهما.

ظل ميتيرلينك ينتقل بين مدن أوروبا، ولكن عقب اندلاع الحرب العالمية الثانية اختار لنفسه منفى فى البرتغال والولايات المتحدة، حيث استقر مقامه حتى عام

١٩٤٧. وقد اهتم فى تلك الفترة بدراسة حياة الحشرات. واكتشف أن هناك علاقة بين هذه الحياة وسلوك البشر. وتبعاً لوصية الشاعر فقد تم حرق جثته عقب وفاته فى ٦ مايو ١٩٤٩.

ويقول مارسيل دو جراف إن هناك مرحلتين منفصلتين تماماً فى حياة ميتيرلينك: الأولى تتضمن إبداعه قبل أن يفوز بجائزة نوبل عام ١٩١١، وهى مرحلة أساسية مليئة بالانتصارات فى مجالى الشعر والمسرح. وبدا هذا فى دواوينه الأولى ومخطوطاته التى نشرها فى المجلات الأدبية باسم مستعار تحت عنوان "العصارات الحارة" المنشورة عام ١٨٨٨. ثم فى أعماله التالية مثل "ست أغان" المنشورة عام ١٨٩٦. و"خمس عشرة أغنية" عام ١٩٠٠. وقد استوحى الشاعر هذه الأغنيات من أمه حين كانت تشدو له وهو لا يزال طفلاً.

وفى هذه الأعمال بدأ إعجاب ميتيرلينك بمن سبقوه ممن كتبوا قصصاً وأشعاراً للأطفال مثل بلوتين وإمرسون. مما دفعه إلى القيام بترجمة أعمال بعضهم إلى اللغة الفرنسية.

وقد امتلأت أعمال الشاعر بروح التفاؤل، وخاصة فى ديوانه "الحكمة والمصير" الذى أشرفت على إصداره رفيقته جورجيت ليلان عام ١٨٩٨. ثم فى أعماله المسرحية مثل "أريان والذقن الزرقاء والأخت بياتريس" عام ١٩٠١ ثم "معجزة سان أنطوان" ١٩٠٤ و "الطائر الأزرق" عام ١٩٠٩، ومسرحية "مريم المجدلية" فى ١٩١٣.

كان ميتيرلينك قد نشر مسرحيته الأولى "الأميرة مالمين" عام ١٨٨٩. ولقيت صدى طيباً، لدرجة دفعت الكاتب المعروف أوكتاف ميرابو أن يعتبرها أحسن مسرحية كتبت فى عصرها. وما لبثت أن ترجمت إلى لغات عديدة وأصبحت ظاهرة أدبية، حيث راح العديد من الكتاب يكتبون مسرحياتهم على شرفها فى كل من الدانمارك وألمانيا وروسيا وإسبانيا واليابان.

وتعتبر هذه المسرحية الشعرية بمثابة مرحلة فاصلة في تاريخ المسرح الفرنسى رغم أن موضوعها مستوحى من الدراما اليونانية القديمة مثل أغلب المسرحيات العالمية. وقد بدأ فيها اهتمام الكاتب بإعطاء رؤية معاصرة لحروب طروادة.

ولموريس ميتيرلينك مسرحية أخرى تحمل عنوان "مونّا فانّا Monna Vanna" نشرها عام ١٩٠٢ وفى عام ١٩٢١، أى بعد حصوله على جائزة نوبل بعشر سنوات قدم مسرحية "الأخت بياتريس". ثم تتابعت أعماله التى اختلفت كثيرا فى موضوعاتها، ولغتها الأدبية عن أعماله السابقة، ومنها "حياة الفراغ" عام ١٩٢٨، و"القانون الأكبر" عام ١٩٣٠. ثم "قبل الصمت الأكبر" عام ١٩٣٤، و"الساعة الرمل" عام ١٩٣٦، و"آمام الله" عام ١٩٣٧.

وقد ظل ميتيرلينك يكتب بلا توقف حتى آخر حياته، وبمراجعة قائمة مؤلفاته المسرحية سوف نجدها غزيرة، ليس فقط ما يتعلق بما نشر أثناء حياته، بل لقد تم العثور على الكثير من النصوص المجهولة عقب وفاته فى عام ١٩٤٩.

المترجم فى سطور:

مصطفى كامل خليفة

- حاصل على ليسانس اللغة الفرنسية وآدابها من كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٣.
- حاصل على دبلوم الترجمة الفورية والتحريرية عام ١٩٨٢.
- عمل مترجماً فى وزارة الداخلية بالقاهرة من اللغة الفرنسية وإليها.
- عمل فى السعودية فى وزارة الدفاع من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩، مترجماً فورياً وتحريراً من اللغة الفرنسية وإليها.
- صدرت له ترجمة لرواية "الآلهة عطشى" للروائى الفرنسى "أناتول فرانس" الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٢١، وصدرت الترجمة عام ٢٠٠٠، من بين سلسلة مشروع ترجمة الأدباء الفرنسيين الحاصلين على جائزة نوبل.
- صدرت له ترجمة أربعة أعمال بالمركز القومى للترجمة عام ٢٠١٠.
- عضو فى اتحاد الكتاب.
- يعمل مترجماً حراً فى جميع المجالات حتى تاريخه.

المراجعة فى سطور:

منى على كمال صفوت

- حصلت على الدكتوراه فى الآداب - قسم اللغة الفرنسية - آداب عين شمس.

- تعمل أستاذ ورئيس قسم الدراما والنقد بآداب عين شمس.

البريد الإلكتروني: ashazly@hotmail.com

أهم الأعمال:

١ - ترجمة ومراجعة العديد من الكتب فى إطار مهرجان المسرح التجريبي وعملين للمركز الثقافى الفرنسى وكذلك عملين للمركز القومى للترجمة.

ومن الأعمال التى قامت بترجمتها:

١ - تحليل العروض المسرحية باتريس بافيس

- الجسد والأداء المسرحى.

- الإخراج المسرحى المعاصر.

التصحيح اللغوي: محمد نصر الدين
الإشراف الفني: حسن كامل